مـــارك تـــوين

الكتـــــاب	مارك توين/ عطيات أبو العينين
المؤلـــــف	أبو العينين، عطيات
النـــــوع	تراجم
فكرة الغلاف	رامي معاطي
تنفيذ الغلاف	جيهان متولي
إخراج داخلي	بثينة فرج
الطبعـــــة	الأولى/ القاهرة ٢٠١١
عدد الصفحات	١٢٠ صفحة
المقـــــاس	١٧×٢٤
تدمـــــك	
	١- الأدباء الأمريكيون
	٢- توين، مارك

صرح للنشر والتوزيع



فكر يصنع حضارة

المدير العام: عبود مصطفى عبود

كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ)

برج (٢) الدور العاشر.

ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)

البريد الإليكتروني	darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني	www.dar-sarh.com
رقـــم الإيـــداع	٢٠١٠/١٤١٦٦
الترقيـم الدولـي	**978-977-6382-24-4**

ديوي ٩٢٨,٢

مـــارك تـــوين

الأديب الساخر

تأليـف
د/ عطيات أبو العينين



إهداء

إلـــى

من أضاءوا ابتسامة على شفاهٍ لم تكن تعرف الابتسام

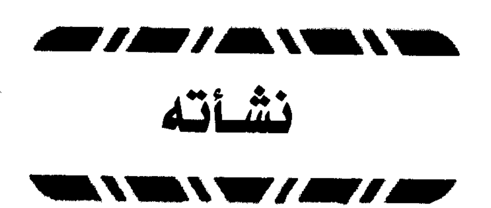
فأصبحوا ضحكة كبيرة أضاءت العالم كله..فهؤلاء

صنعوا حضارة بابها الضحك ومفتاحها السعادة

جعلتنا نتحمل ضغوط الحياة..

إليهم، ومنهم «مارك توين».

د/ عطيات أبو العينين


نشـأته

كان يوم مولدي يومًا غريبًا، خرجت جموع الناس ليشاهدوا بزوغ هذا النجم اللامع في السماء، فمن يراه مرة في عمره لا يضمن رؤيته مرة أخرى فمن يضمن أن يعيش ستة وسبعين عامًا، فالمذنب هالي لا يظهر إلا مرة واحدة خلال هذه السنوات.

وبطبيعة الحال لم تخرج أمي هذه الليلة فاجئتها آلام المخاض لتكون ولادتي في ليلة مثيرة كحياتي تمامًا مليئة بالأحداث. كان ذلك بمدينة صغيرة تسمى «ميسوري» بفلوريدا عام ١٨٣٥م، وهي إحدى الولايات الأميركية، التي تقع في أقصى الجنوب الشرقي للبلاد.

اشتهرتُ بمارك توين، وبالرغم من ذلك لم يكن هذا هو الاسم الحقيقي لي بل «صمويل لانجورن كليمنس»، عشتُ حياة فقيرة وصلتْ لحدِّ البؤس، وانتقلتْ أسرتي من ميسوري بفلوريدا إلى هانيبال، ولم أكن أكمل الرابعة من عمري، وفي قرية هانيبال على ضفاف نهر المسيسيبي. عرفت تجربة الولع بالزوارق البخارية المختلفة الألوان، وهي ترسو على رصيف البلدة حاملة على ظهورها الممثلين الفكاهيين الظرفاء والمغنِّيين والمقامرين والمحتالين وتجار الرقيق وغيرهم، فخبرت الحياة وطبائع وعادات الناس، مما أضاف إلى رصيدي في الحياة، غير أنني شعرت بالحزن الشديد عندما عانى أبي كثيرًا من المرض وتوفي، وأنا لم أبلغ العاشرة فعرفتُ اليتْم مبكِّرًا قبل أن أذوق حلاوة وجود الأب بيننا وتحمّله للمسؤولية كاملة، يرعانا ونحن نعيش في كنفه وتحت رعايته، ورحل وتركنا نواجه الحياة بصعوباتها وقسوتها دون عائل أو ميراث يحمينا من غدر الحياة.

رجت والدتي أحد أصحاب المطابع أن أعمل لديه كعامل طباعة، حتى يمكننا أن نُدَبِّر أمورنا، وأتكسّب شيئًا يقيم أودنا، واضطططرت أن أترك دراستي مبكّرًا بالرغم من ولعي الشديد بالدراسة وقدرتي على التحصيل، ولم تكن هذه هى الحرفة الوحيدة التي عملت بها، فقد عملت بائعًا للصّحف، وكاتبًا في محل بقال، وصبيًا لحداد، وخادمًا في صيدلية، وعاملًا بمناجم الفحم، غير أنه كان لديّ حلم منذ نعومة أظفاري، عندما أتطلع إلى نهر المسيسيبي، وأرى السفن في غدّوها ورواحها فأتمنى العمل بحّارًا على إحدى السفن العاملة، استجاب القدر لهذا الحلم الذي ظلّ يراودني، كنت على صِغر سنِّي وضعفي أرى أهوالًا وأتحمّل فوق طاقة صبي في مثل سني، ولكني اكتسبت معرفةً واسعةً بصنوف البشر لكثرة من التَقَيْتُ بهم، ومنذ ذلك الوقت لم يدْعُنِي أحد باسم صمويل لانجورن كليمنس، بل«مارك توين» وكان هذا الاسم يعني العلامة الثانية باللهجة الشعبية والتي كان يستخدمها بحّارة السفن الذين يعملون على السفن، كنت أقوم بشدّ الحبل الذي تسير به السفينة في عمق النهر، من هنا جاء اسم شهرتي مارك توين، وظل هذا الاسم يصاحبني طيلة حياتي. كنت في جلستي على ظهر السفينة، أراقب كل شيء وتخيّلت السفن البخارية والمزوّدة بعجلات التجديف، كعكة زفاف عائمة .. وظلت هذه التسمية تلاحقها في كتاباتي كما لا حقني اسم مارك توين.

أكسبتني حياة البحر التأمّل والاستغراق في كل شيء حولي، وأكسبتني مهنة الطباعة وجمع الحروف ثروة كبيرة من المعرفة، فقد.كنت أطّلع على كل ما تقع عليه عيني، أقرأ في كل شيء وعن كل شيء في الفلسفة والتاريخ والسياسة والأدب، كما أجدت عدة لغات بنفسي، فقد علّمت نفسي بنفسي تعليمًا ذاتيًا، فأتاحت لي المعرفة أن يكون لي آراء خاصة بي، لم تكن تشبه أحدًا ممن حولي، كنت ثائرًا على تفكيرهم التقليدي، والتقليد الأعمى لكل ما هو أوروبي، كنت أمقته وأنفر منه بشدة، وهم يحبونه ويتفاخرون به ويوجّهون اللوم والتخلّف

لكل من خالفهم في هذا الإتجاه، ولكني كنت سعيدًا لأن كل من حولي كانوا يستمتعون بصحبتي ويصفونني دائـمًا بخفّة الدم وسرعة البديهة والقدرة على التعبير بالأسلوب الكوميدي والتراجيدي دون إخلال بالنص.

بالرغم من صعوبات كل رحلة من رحلاتي على ظهر السفينة، إلا أنها كانت ممتعة، تعودت أن أكتب رحلاتي على البواخر عبر نهر المسيسبي، والأشخاص والحكايات التي كنت أصادفها، وسعدت فكل من حولي يثني على أسلوبي، والحوار الشيّق في كتاباتي، وأفكاري المختلفة التي لا تشبه أحدًا، إلى أن جاءتني فرصة للعمل بالصحافة، من هنا تحوّل مجرى حياتي، وتغيرت طبيعة عملي من الحرفة اليدوية، إلى التفكير العميق، والتعبير عما يدور بعقلي على الورق. ولم يكن هذا بالشيء الصعب أو الجديد عليّ، فلقد تعوّدت عليه من زمن بعيد بيني وبين نفسي، بدأت الحياة تبتسم لي أخيرًا فلقد أصبحت أتكسّب من عملي بالصحافة ما يضمن لي حياة كريمة.

وزاد القدر في كرمه معي ليعوضني عن أيام الشقاء فتعرّفت على «أوليفيا» الجميلة التي نشأت في بيت مسيحي متمسك بعقائد دينية متينة وتزوجنا، ومكثنا سنينَ عدة في نيويورك، ثم استقر بنا المقام في «كونكتيكت»، بلغت سعادتي ذروتها عندما أخبرتني «أوليفيا» أنها تنتظر طفلًا، كل يوم يمرّ علينا كانت سعادتنا تزداد لأنها تقرّبنا من الوليد الذي يحمل اسمي، فغدًا سأكون أبا وستكون أوليفيا أمًّا، سأمنحه كل ما كنت أتمناه من أبي، وستمنحه «أوليفيا» كل ما ادّخرته من حنان وعطف لأجله ولكن القدر لم يمهله، حتى يحقق لي ما أتمناه وأمنحه ما أشاء.

وجاء اليوم الذي انتظرناه كثيرًا وكأني على موعد دائمًا مع القدر فلقد ولد ابني ضعيفًا لم يطل به المقام في كنفنا فرحل سريعًا، وحُرمتُ أنا و«أوليفيا» من متعة ممارسة الأبوة وحنان الأمومة.

راحت «أوليفيا» تهوّن عليّ بالرغم من تأثُّرها الشديد، ولم يكن يهوّن عليّ أحزاني إلا عندما أخلد لنفسي فأندمج مع شخصيات رواياتي. وكلما أحسست باللوعة والحسرة اندمجت أكثرَ مع أبطالي، حيث كتبت أروع قصصي مغامرات توم سوير ومغامرات هكلبري فن والأمير الفقير، وأردت من خلال أعمالي التعريف بأميركا العميقة عن طريق وصفي للفلكلور المحلي والعادات الشعبيّة، التي يعيشها البسطاء من الشعب من خلال مغامرات توم سوير ومغامرات هكلبري فن، وكنت أوقّع باسم مارك توين.

في هذه الفترة كنت أحاول أن ألفت نظر المجتمع للانتهاكات الاجتماعية في أميركا من عبودية ورقّ فاعتبروني مُصلحا اجتماعيًّا، غير أنني لم أتبع منهجًا معينًا في حركتي الإصلاحية، لقد كنت معنيًا بالحقيقة ولا شيء غيرها. ولقد حاولت أن أكتب مستندًا إلى اللغة الأميركية المحكية القوية والواقعية فأعطى ذلك للكتّاب الأميركيين تقديرًا جديدًا لصوتهم القومي، كانوا يعتبرونني المؤلف الرئيسي الأول القادم من وَسْط البلاد، ولكنه تمكّن بشكلٍ قاطع ومميزٍ من التقاط اللغة المحكية المميزة والظريفة والمحطمة للتقاليد والتقليد للأوربيين. ومنذ البداية حددتُ طريقي واتخذتُ من الواقعية منهجًا أسيرُ عليه حتى أستطيع تعرية المجتمع من أجل السعي نحو الإصلاح، لم يكن هذا المنهج مُتّبعًا في وقتها، وكان غريبًا على الكتَّاب والمجتمع. إلا أنني -كعادتي- لا أحب أن أحذو حذو السابقين أو المعاصرين، ودائمًا أسعى إلى الجديد المختلف الذي يبحث عن الأصالة، فاتَّبعتُ منهج الواقعية في كتاباتي، وسواء بالنسبة لي أو لكتّاب آخرين أميركيين عاشوا في أواخر القرن التاسع عشر، لم تكنِ

الواقعية أسلوبًا فنيًّا أدبيًّا فقط، بل كانت طريقة لقول الحقيقة والقضاء على التقاليد البالية لذلك كانت هذه الواقعية وسيلةً للتحرر العميق، وربما كان ذلك يتناقض مع المجتمع في ذلك الوقت.

كان أشهر نموذج للواقعية قصة حياة «هاك فن»، الولد الفقير الذي قرر أن يتبع صوت ضميره ويساعد أحد الأرقّاء الزنوج على الهرب إلى الحرية، مع أن هاك فن كان يعرف أن ذلك يعني أنه سوف يُلعَن إلى الأبد لكونه انتهك القانون. ولقد وفقت في توظيف خفّة الظلّ التي كنت أتميز بها مع المحيطين في كتاباتي، ولم تخلو من تراجيديا حتى تتناسب مع سرد القصة. عندما كنت أقرأ الأدب الموجود في ذلك الوقت كنت أشعر بالحزن نتيجة لتقليد الكتاب الأوربيين، فلقد أُغْرَموا بكل ما هو أوروبي في الأدب والفن والفكر والثقافة مثل «هوثورن و ميلفيل و هاولز».

وكنت أرى أن الأصالة الحقّة هي التى تدفع الأديب إلي البحث عن جذور أدبه في تربة وطنه، فمن الممكن استيراد أي شيء إلا الآداب والفن. وكنت أكره بشدة النظام الإقطاعي الذى ساد أوروبا في القرن التاسع عشر، وارتبط تاريخيًّا بتجّار الحروب الأثرياء الذين ضحّوا بأبناء الوطن في سبيل مضاعفة ثرواتهم. فكنت دائمًا أتعرّض في كتاباتي للوقوف ضدّ الإقطاع والعبودية والرقّ، وأنادي بحقّ الإنسان البسيط المعدِم في الحياة وسط هؤلاء المستعبدين. إلا أنني لم أتأثر بالأوروبيين مُطلقًا إلا من خلال شخصية «جان دارك» التي كانت بمثابة الرمز الأوروبى الوحيد الذي حاز إعجابي وكتبت عنه باستفاضة. ولو أنها عاشت ما صدّقت أن يكتب عنها كاتب أميركيساخر؛ «فجان دارك» البطلة الفرنسية العذراء والتي تصارعت مع الإنجليز فهزمتهم حينًا، ثم انتهى بها الأمر الى الوقوع في شباكهم وشباك حلفائهم من الفرنسيين، وحوكمت وأُحرقت. وكنت أعرف أيضاً أن سيرة جان دارك، إذا كانت قد بدت

طيبة وبطولية في معظم الأعمال، فإن الإنجليز بالتحديد والأنغلوساكسون في شكل عام لم يفتهم أن يسخروا منها. ولكن لم يكن بإمكان أحد أن يتوقع أن تكون ذات حظوة لديّ وأنا الكاتب الأميركي الساخر، وكان الجميع يتوقع أن تتحول سيرة «جان دارك» بين يدي إلى حكاية هزلية ولكني غيّرت اتجاهي تمامًا، فكتبت عنها باحترام قلّ نظيره. ودون أن أضيف شيئًا إلى سيرتها المعروفة، أو أحذف منها شيئًا. بل لم ألقِ اللوم على الإنجليز في محاكمتهم لها. وكان غرضي من هذا كله ليس كما فعل وسيفعل غيري من الكُتّاب، لمجرد النكاية بالإنجليز، بل لتمجيد «جان دارك» والتأكيد حتى على الجوانب الأكثر أسطورية في حياتها ونضالاتها.

من العجيب أن يكون هذا هو آخر أعمالي الأدبية، ولم يحمل الطابع الهزلي والساخر، الذي تعوده الناس مني في كتاباتي ولكنه جاء جادًا لينصف الحق في أي مكان، بالرغم أنه لم يكن هذا هو العالم الذي أميل إليه وأكتب عنه، فلقد كان عالمي هو عالم الصبيان والبنات، ومغامراتهم وتلقائيتهم، وهاجمني البعض بأن كتاباتي تخلو من الشخصيات النسائية، وباستثناء « الذكريات الشخصية لجان دارك» فلقد عبرت من خلال شخصيتها، لكي أوضح موقف الإنسان تجاه الكون من خلال خلاصة تجربتي وقراءاتي في كل فروع المعرفة الإنسانية، وكل ما قرأت في مجال الفلسفة والتاريخ وغيرها.

وعلى الرغم من روح المرح والدعابة والفكاهة التي اشتهرت بها إلا أنها كانت تحمل بين طياتها تهكمًا قاسيًا وسخرية مريرة من العقائد والنظم الاجتماعية والحكومية، التى طالما علّمتِ الناس التفاهة والسطحية والرياء والخداع والجشع.

ربما ساعد على انتشار كتاباتي رغم قسوتها في الإنتقاد، أنني كنت أتناول هذه المشكلات من زاوية السخرية والتّهكّم بشكلٍ كوميدي ساخر، وكثيرًا ما يجد هوى لدى الناس، ولم يكن

هـذا مألوفًا في ذلـك الوقـت، فقـد كـان أسـلوب كتـابتي متفـرّدًا، فلقـد حاولـت أن تكـون لي شخصية خاصة بي من خلال كتاباتي وأفكاري.

كان الترحال المستمر منبعًا لا ينضب لمعرفة حياة النفس البشرية، في صـورها المتعـدّدة فتعرفتُ على جميع شخصيات رواياتي التي كانـت مـستمدة مـن الأشـخاص الـذين قـابلتهم وعملت معهم في الوظائف الكثيرة التى قمت بها فى مختلف الولايات، ولقـد مكنتنـي الحيـاة العريضة والاختلاط بأنماط عدة من البشر من تجسيد نـماذج واقعيـة يلمـسها القـارئ ويـشعر بمشكلاته من خلال كتاباتي، وهذا قرّبني أكثر من قلوب النـاس، وبالتـالي اسـتطعت التوغّـل داخل مشاعرهم واكتسبتُ بذلك القـدرة عـلي اسـتيعاب روح الفكاهـة والـسخرية والـتّهكّم التى تقابل حقائق الحياة المريرة بابتسامة أو أضحوكة مدركة لتناقضاتها اللانهائية.

وعندما زرت أوربا لأول مرة، وكتبت رواية «السُّذَّج خـارج الـوطن» كنتيجـة لهـذه الزيارة، لم يكن تأثيرها علي هذا التأثير الذي تمارسه على الشخص القـادم مـن منطقـة متخلفـة حضاريًا بحيث يُصاب أفقـه الـضيق بالانبهـار والدهـشة، بـل تمثّـل تـأثير أوربـا عـليّ في تلـك اللامبالاة التي نظرت بها إليها، كانت تلك النظـرة اللامباليـة سببًا فى هجـوم النقّـاد المغـرمين بأوربا عليّ، واتهامي بالجهل وضيق الأفق، ولكنهم لم يفهموني على حقيقتي فقد كنـت أبحـث عن الأصالة القومية.

وإذا كانت رُوح الدعابة والسخرية في بعض رواياتي، تميل إلى الخروج عن حدود اللياقة والذوق العام التقليدي من وجهة نظرهم، إلا أن هذا لا يُقلِّل مـن قيمـة مـا قدمتـه. فقـد كـان يعتقد أن أول شروط الشخصية القومية تتمثّـل فى الاسـتقلال التـام، والنظـرة الموضـوعية إلى الشخصية القومية للآخر.

وبشهادة كل من قرأ أعمالي الأدبية، سواء في أميركا أو في أنحاء متفرقة من العالم، تعتبر رواية « مغامرات توم سوير» ، ورواية «مغامرات هكلبري فن» أروع وأعظم أعمالي الأدبية، فقد لاقت ذيوعًا وانتشارًا كبيرًا وفي كل هاتين الروايتين سجّلت ذكريات طفولتي والحياة الشقية التي عانيتها في حياتي.

بدأتْ أحداث حياتي يغمرها الضوء، عندما واكب نجاح رواياتي مولد ابنتي الكبرى «سوزان»، فسعدنا بها أنا و «أوليفيا» أشدّ سعادة، وتعلّقنا بها للغاية، ونسينا -بوجودها- أحزاننا بفقدان ابننا الأكبر، وزادت سعادتنا عندما لحقت بها أختها الصغرى «جين»، عشت أنعم معهم سنوات جميلة في كنف الأسرة مع زوجتي أوليفيا، ولقد عوضتني «أوليفيا» وابنتاي عن ذلك الإحساس المرير بالفقد والحرمان والبؤس طوال حياتي.

وبدأت شهرتي الواسعة بمجرد نشري لقصة «الضفدع القافز الشهير من مقاطعة كلافراس»، والتي أقبل الناس على قراءتها بشغف كبير منحتني الشهرة في طول أميركا وعرضها. وعندما كتبت رواية شهيرة أخرى اسمها «الأمير والفقير» ثم كتبت رواية «أميركي من كونتيكت في بلاط الملك آرثر» ثم أعقبتها برواية «الرجل الذي أفسد هيدليبرج» و «من هو الإنسان» هذا بالإضافة إلى العشرات من القصص القصيرة والمقالات الفكاهية الممتعة، ارتفع رصيدي لدى القراء في كل مكان.

كنت أعشق الرحلات فكتبت الكثير من كتبها لعل أشهرها كتاب «الأبرياء في الخارج» وكان يعتبر من أوسع الكتب نجاحًا وانتشارًا في عصري، وكتاب «متسوّل في الخارج» وكتاب «الحياة في نهر المسيسبي» وكان لنهر المسيسيبي الذي يُسمى أحيانًا نهر الرجل العجوز، دورٌ حيوي في تاريخ الولايات المتّحدة الأميركية. إذ كان أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين طريق المكتشفين الأسبان والفرنسيين، ولما ظهرتِ السفن البخارية في

القرن التاسع عشر، صار المسيسيبي طريقًا مهمًّا للنقل والتجارة. وقد وصفت النهر وصفًا حيًّا في كتابي الحياة على المسيسيبي، فلقد صادقته طوال حياتي فكان يفهمني وأفهمه، ولي كتابٌ آخر بعنوان «صلاة الجندي».

حظيتُ بشعبيّة عالية سواء في أميركا أو في غيرها في أي بقعة من العالم، وكنت أشعر بالسّعادة عندما يطلب مني القرّاء عمل حفلات جماعية حيث يشتري الناس التذاكر كي يجلسوا في مسرح كبير، ليصغوا إليّ وأنا أقوم بقراءة قصصي، وتدور بيننا المناقشات فقد كنت حريصًا أن تكون الأعمال مرآةً صادقةً شفّافة للمجتمع الأميركي.

مرت بعد ذلك بالبلاد مرحلة شكّلت فيها الحرب الأهلية الأميركية (١٨٦١-١٨٦٥) التي نشبت بين الشمال الصناعي والجنوب الزراعي، والذي كان يمتلك الأرقّاء حدًّا فاصلًا في التاريخ الأميركي. فقبل الحرب كان المثاليون يناصرون حقوق الإنسان ولا سيّما إلغاء العبودية. لكن بعد الحرب أصبح الأميركيون يجلون بصورة متزايدة التقدم وفكرة «الرجل الذي يصنع نفسه بنفسه».

وكانت هذه حقبة المليونير صاحب المصنع والمضارب في الأسواق المالية، وحقبة تطبيق نظرية داروين في التطور البيولوجي و«بقاء الأصلح» على المجتمع، وبدا أن هذا التطبيق سمح للقطب المالي الناجح بممارسة أساليب عمل لا أخلاقية أحيانًا.

ولقد ازدهرتِ الأعمال بعد انتهاء الحرب. فأتاح كل من نظام سكّة الحديد الجديد بين مختلف الولايات، ونظام الاتصالات البرقية عبر القارات للصناعة إمكانية الوصول إلى المواد، والأسواق ووسائل الاتصالات. كما أمّنت الموجات المتواصلة للمهاجرين الإمدادات من اليد العاملة الرخيصة والتي بدت وكأنها دون نهاية.

وتدفق إلى الولايات المتحدة أكثر من(٢٣) مليون أجنبي، ومنهم الألمان والاسكندنافيون والإيرلنديون في السنوات الأولى، ولاحقًا جاءت أعداد متزايدة من سكان أوربا الوسطى والجنوبية.

في ذلك الوقت كان معظم الأميركيين، يعيشون في مزارعَ أو في قرى صغيرة، ولكن بحلول عام ١٩١٩ تركز نصف عدد السكان تقريبًا في حوالي ١٢ مدينة، و برزت مشاكل ترتبط بالتوسّع المدني والصناعة كمساكن فقيرة مكتظة، وظروف غير صحّية، وأجور متدنية سُمِّيت «بأجور الرقيق»، كانت وقتها ظروف العمل صعبةً للغاية، وغياب القيود الكافية على الأعمال.

ونمت نقابات العمال، وأثارت الإضرابات المحن، التي يعاني منها الشعب العامل وأبرزتها على الصعيد القومي. ووجد المزارعون أنفسهم أيضًا يكافحون ضد «المصالح المالية» لشرق البلاد، وتحوّلت الولايات المتّحدة من مستعمرة زراعية صغيرة سابقة إلى دولة صناعية عصرية هائلة. إلا أنّها كانت مثقلة بالديون، ولكنها سرعان ما أصبحت أغنى دولة في العالم، وبحلول الحرب العالمية الأولى، تحوّلت إلى قوة عالمية رئيسية، ومع نمو الصناعة نما أيضًا الشعور بعدم الانتماء.

كان ردي أنا وزميلي «هنري جيمس» كصحفيين وكتّاب، بصورة مختلفة على هذا الأمر، فلقد تطّلعت نحو الجنوب والغرب إلى قلب أميركا الريفية والحدودية، لاستقاء أسطورته المحددة، وتطلع «جيمس» إلى أوربا لتقييم طبيعة الأميركيين العالميين الجُدد، وبالطبع كانت تطلّعاتنا من خلال مقالاتنا الصحفيّة، ورواياتنا لإزالة النقاب والغموض عن كل حقيقة غائبة.

وبسبب آرائي تعرضت في حياتي لهجوم لاذع؛ لأنني كنت بمثابة ستار رقيق لنقد المجتمع وملاحظاتي الجريئة، وهذا ما أثار غضب الكثيرين وحنقهم عليّ، ولكن أبهجتِ الأكثر منهم، ووجدت تشجيعهم ومناصرتهم لأفكاري، مما كان يدفع بي للأمام، فأي تيار أو اتجاه في التفكير لابد وأن تجد من يناصره ومن يناصبه العداء.

عندما لم يجدوا حيلة معي، اتهموني بالجهل وضيق الأفق، ولكني لم أهتم كثيرًا بقولهم، فلقد تعوّدت أن تصب الدنيا جام غضبها على رأسي ولا أشتكي، كنت ألجأ للكتابة للتعبير عن نفسي وأهرب من تلك المآسي، لأُعبِّر بالكوميديا تتخللها التراجيديا وتُعبِّر عن الواقع المَعِيش في سلاسة ودون تعقيدات تصل لقلب وعقل الجمهور مباشرة، وكانت أسعد لحظاتي تلك التي أقضيها بين أسرتي الصغيرة.

كانت هذه الفترة من أزهى فترات حياتي الأدبية والعائلية، فلقد عشتُ سبع عشرة سنة من الاستقرار مع «أوليفيا» زوجتي، وأنا أرى ابنتيَّ تكبران وتزدادان جمالًا، وتقتربان من السنّ التي تُظهِر جمالها وأنوثتها، كنت سعيدًا بذلك لأني شعرت أن حياتي تبدلت ومعاناتي انتهت فزادت ثروتي، وذاع صيتي في كل مكان.

لم أنس حبي القديم للطباعة التي عملت بها منذ الصغر، يسكن جوارحي لذلك ما إن عرض عليّ بعض الأصدقاء الذين يمتلكون دور نشر مشروعًا خاصًا بالطباعة للوقوف بجانب مشروعات ضخمة عن الطباعة حتي نقوم من خلالها بتشجيع العلماء الذين يعملون في مجال الاختراعات الحديثة وفن الطباعة، لم أتأخر على الإطلاق، فبداخلي يكمن الحب القديم للطباعة وأدين له بحياتي ولقمة العيش التي أمسكت رمقي صغيرًا وكبيرًا، ولم أكن اقتصاديًا ناجحًا، وبسبب المضاربات المالية الفاشلة التي قامت بها إحدى دور النشر التي كنت شريكًا في ملكيَّتها حلّت عليّ النوائب، إذ فقدت ثروتي كلها، وأصبحت مُعدِمًا تمامًا بل

ومُدانًا بمبالغَ طائلة، وعدتُ أتجرَّع كأس الفقر ومرارته من جديد، ومعي أسرتي التي لم تتعود الفاقة والحرمان، إلا أن «أوليفيا» وقفت بجواري صامدة في هذه الأزمة القاسية، وأخذت تشجّعني، وبوجودها في حياتي شعرت بالقوة والصّلابة ولم تهمني الخسارة، إذ بدأت من جديد وحاولت الوقوف على قدميَّ وظللت أكافح بهمة شديدة، فكنت أجوب العالم ألقي المحاضرات والندوات بأسعار خيالية، ويستقبلني الناس في كل مكان بترحيب شديد وأعود إلى أميركا كبطل قومي، حتى تمكّنت من تسديد ديوني الطائلة وعاودني النجاح من جديد بل زادت شهرتي وذاع صيتي في كل مكان. ولكن مخطئ من يأمن غدر الأيام فهي تلعب معنا لعبتها الذكيّة، فتمنحنا السعادة، وتذهب بنا بعيدًا نرتع في حدائقها ومروجها حتى نظنها نبع لا ينفد، فتعود من جديد لتغدر بنا ونقع في غياهب الظلام.

ساد الظلام الحالك حياتي عندما مرضت «سوزان» ابنتِي الكبرى، كنت أتعذب لعذابها وأنا لا أملك لها شفاءً، أراها تذبل أمامي يومًا بعد يوم، وبجوارها «أوليفيا» زوجتي تزداد نحولًا، أما الصغيرة «جين» فقد كانت تفقد بهجتها يومًا بعد يوم، لمرض اختها الكبرى، وزاد الأمر سوءًا عندما افتقدنا «سوزان» للأبد، لم تستطع «أوليفيا» أن تتحمل الصدمة سقطت فريسة المرض ورحلت هي الأخرى، وظللت أنا و«جين» الصغيرة نعاني آلام الوحدة، فقد كانت تحتاج لعناية الأم وكنت أحتاج ليد الزوجة الحنونة التي تربط على كتفي وتسرِّي عني معاناتي، ولكنّ قلبها الصغير وجسدها النحيل لم يَطُل بهما المقام فقد ازدادت حالتها سوءًا وماتت هي الأخرى بعد خمس سنوات من رحيل والدتها.

و بالرغم أني كنت أرجع كل شيء لمنهج الواقعية، إلا أن هناك أشياء تحدث للإنسان لا يجد لها تفسيرًا، وقد تعرّضت لمثل ذلك مما أضاف إلى أحزاني، كنت مع أخي هنري على إحدى البواخر النهرية التي كانت تُبحِر بين «سينت لويس» و «نيو أورليانز». وفي إحدى

الليالي عندما كنت عند شقيقتي «في نيو أورليانز» حلمت حلمًا مزعجًا للغاية فقد رأيت جُثّة أخي مسجاة في تابوت معدني في غرفة الجلوس في دار أختي. وكان التابوت يرتكِزُ على كرسيين وباقة من الزهور في وسْطها زهرة حمراء وضعت على صدرالجثة. وعندما استيقظت من نومي كنت واثقًا أن جثة أخي موجودة في الغرفة المجاورة. فبعد أن ارتديت ملابسي فكّرت أن أزور أخي في الغرفة المجاورة إلا أنني قررت أن أسير في الخارج قليلًا قبل ذلك. فتركت الدار، وما إن سرت بضعة خطوات حتى تبين لي أنني كنت أحلم.

بعد بضعة أسابيع كنت مع أخي في «نيوأورليانز» ولكننا أخذنا باخرتين مختلفتين إلى «سينت لويس» فقد أخذ «هنري» الباخرة إلى «بنسيلفانيا» التي انفجرت مراجلها قريبًا من مدينة «ممفيس» مسببةً عددًا من الضحايا، وأُصيب «هنري» بجروح بالغة ونقل إلى «ممفيس» وتوفي بعد بضعة أيام. ورغم أن أغلب ضحايا الانفجار دفنوا بتوابيت خشبية، إلا أن بعض النساء من «ممفيس» تبرعوا لتزويد جثة «هنري» بتابوت معدني. وهكذا عندما جئت لتوديع أخي الوداع الأخير، رأيت جثة أخي مسجاة بتابوت معدني، ولكن لم يكن هناك باقة الزهور التي رأيتها في منامي. ولكن بينما كنت واقفًا بجوارالتابوت دخلت سيدة ووضعت باقة زهور بيضاء وفي وسطها زهرة حمراء على صدر الجثة. لم أستطع أن أجد تفسيرًا لهذا اللغز الغامض الذي رأيته في منامي وتحقق في الواقع، مما زاد من أحزاني الأليمة في رحلتي مع الشقاء وكأن الأحداث اتفقت أن تثير شجوني وتزيد من أحزاني. كم كانت حالتي تسوء يومًا بعد يوم، وصحتي تتدهور بسرعة مذهلة بعد أن فرغ البيت عليّ، وبالرغم من انصرافي لهمي الأكبر الكتابة، والدفاع عن قضايا الإنسان البسيط وتخليصه من الرق والعبودية، حتى عندما أصبحت أميركا دولة غنية، تنافس الدول الأخرى جميعًا في العالم، كانت هناك مثالب

اقتصادية وسياسية واجتماعية، لا بد أن أتعرّض لها بالنقد والاحتجاج، فلقد تعوّد منّي الناس في كل مكان على إظهار الحقيقة ولا شيء غيرها وإن كانت بطريقة هزلية.

غلبت على كتاباتي النزعة الحزينة اليائسة لما مر بي من أحداث حزينة عصفت بي وقاومتها فهزمتني حينًا وهزمتها في كثير من الأحيان، ويبدو أنني قد عبّرت عن كل ما داخلني فطالبت بحقوق الإنسان البسيط ووضعت الحقيقة كاملة أمام الشعب الأميركي ببساطة ويسر، غير أنني في هذه الليلة لم أكن كعادتي مكتئبًا، خرجت إلى السماء وقد شقّها المذنّب هالي فرأيته يمرق في السماء، متخذًا له طريقًا يعرفه جيّدًا، ودخلتُ غرفتي، تمددت على سريري، وكانت نهايتي كما كانت بدايتي فكما خرج الناس يستقبلون المذنب هالي يوم ولادتي، خرجوا هذه الليلة أيضًا فلقد كنت على موعد معه، لقد حققت لي السماء أمنية طالما تمنيتها أن أرى المذنب هالي مرة أخرى في حياتي ليظهر في سماء ٢٠ أبريل ١٩١٠م وبهذا كنت أيضًا متفرّدًا في ولادتي كما تفردت في موتي عن الآخرين، فقليل من الناس من يسمح لهم العمر برؤية المذنب هالي مرتين حتى هالى نفسه العالم الذي اكتشف المذنب لم يحظ بهذا الشرف الذي نلته أنا.

قالوا عن (مارك توين) صمويل كليمنس (إرنست همنغواي):

يجد أن منبع الأدب الأميركي كله هو «مارك توين» وليست أعماله كلها بل إحدى أعماله فنجده يقول:

إن كل الأدب الأميركي جاء من كتاب عظيم واحد هو مغامرات هكلبري فن لمارك توين حيث كان الكُتّاب الأميركيون الذين عاشوا في أوائل القرن التاسع عشر يميلون إلى التنميق المفرط، ويكتبون بوجدانية وزخرفة. يعود ذلك جزئيًا لأنهم كانوا لا يزالون يحاولون الإثبات أن بمقدورهم الكتابة بأسلوب أنيق مثل الكتّاب الإنجليز، أمّا أسلوب «توين» فقد

استند إلى اللغة الأميركية المحكيّة القويّة والواقعية فأعطى للكتّاب الأميركيين تقديرًا جديدًا لصوتهم القومي. كان «توين» المؤلف الأول القادم من وسط البلاد وتمكن من التقاط اللغة المحكية المميزة والظريفة والمحطمة للتقاليد.

بالنسبة لتوين ولكتّاب آخرين أميركيين عاشوا في أواخر القرن التاسع عشر، لم تكنِ الواقعية أسلوبًا فنيًا أدبيًا فقط بل كانت طريقة لقول الحقيقة والقضاء على التقاليد البالية. لذلك كانت هذه الواقعية وسيلة للتحرر العميق، وربما الذي كان على تناقض مع المجتمع. كان أشهر نموذج للواقعية قصة «حياة هاك فين»، الولد الفقير الذي قرر أن يتبع صوت ضميره ويساعد أحد الأرقّاء الزنوج على الهرب إلى الحرية، مع أن «هاك فين» الذي كان يعرف أن ذلك يعني أنه سوف يُلعن إلى الأبد لكونه انتهك القانون.

يقول الناقد برنارد دي فوتو:

"إن جيلَيْن من القراء لم يفهما رواية « السذج خارج الوطن» فهمًا واضحًا ، واعتبر مارك توين مجرد كاتب فكاهيّ مُسَلّ وليس أديبًا ذا نظرة ورؤية فنية معينة."

وصف وليام فوكنر مارك توين بأنه:

- **"أول كاتب أميركي حقًّا»**
- **وأطلق عليه يوجين أونيل:"الأب الحقيقي للأدب الأميركي."**

وكان تشارلز داروين يحتفظ بكتاب «أبرياء في الخارج» على طاولة بجانب سريره؛ ليكون في متناول يده عندما كان يريد أن يخفف من ضجره ويسترخي قبل نومه.

- **اسم حقبة كاملة استمد من كتابه «العصر المذهّب».**

وهي الفترة اللاحقة للعرب الأميركية، عندما كانت جماعات التأثير، والسياسيون الفاسدون، والمضاربون بالأراضي الجشعون يسيطرون علي الحكومة وعلي الحياة الاقتصادية

الأميركية، كان مشهد الأحداث في هذه الرواية، يدور معظمه في واشنطون، وكانت هذه الرواية الأولى لتوين وعمله الوحيد الذي أنجزه بالتعاون مع كاتب آخر، وهو صديقه «تشارلز دادلي وارنز» نشأتِ الرواية من تحد في حفل عشاء لزوجات الكتاب بأن يؤلفوا رواية أفضل من الروايات التي كن يقرأنها من قبل. وقد رأي النقاد هذه الرواية كخليط غير مترابط، أي تقينات توين التي تنحو إلي السخرية والتي تدفع باتجاه تقينات الفن الأدبي الذي يصور الحياة اليومية، التي تصطدم بالشخصيات الأكثر تقليدية ومع الأحداث الروائية لوارنز.

وكان جوزيف كونراد كثيرًا ما يفكر في كتاب «الحياة على المسيسبي» عندما كان يبحر بباخرة في نهر الكونغو.

ويقول وليام دين هويلز: «إن موهبة توين ستكمن في أنه يكتب دائما أدبًا فكاهيًّا، بروح ظريفة فكاهية، التي هي في صفاتها تبقي ساحرة».

وكان «فريدريك نيتشه» معجبًا بكتاب «توم سوير». أما «ليو شون» فقد عشق كتاب «يوميات حواء» إلى حد أنه أمرَ بترجمته إلى اللغة الصينية. وقال «إرنست همنغواي» أن كل الأدب الأميركي الحديث أتى من كتاب واحد من تأليف مارك توين هو «هكلبري فن»، بينما قال زميله الفائز بجائزة نوبل «كينزابور أوي» في الكتاب نفسه، «هكلبري فن» بأنه الكتاب الذي تحدث بقوّة شديدة عن حالته في اليابان التي مزّقتها الحرب، وأنه كان مصدر إلهام له لتأليف كتاب روايته الأولى.

وقد استنبط الرئيس «فرانكلين ديلانو روزفلت» عبارة «الصفقة الجديدة» من كتاب «يانكي من كناتيكت في بلاط الملك آرثر»، وهو الكتاب الذي حدا بعملاق كاتب الخيال العلمي «إسحاق أزيموف» ليعزو الفضل لتوين مع (جول فيرن) في اختراع نوع كتابة

الأسفار عبر الزمن. وحين قرأ «خوسيه مارتي» كتاب «يانكي»، تأثر كثيرًا من تصوير توين «للدناءة أولئك الذين يتسلّقون فوق أجساد إخوانهم من البشر، ويتغذون على بؤسهم، ويشربون من سوء حظهم» حتى أنه أراد أن ينطلق إلى مدينة هارتفورد بولاية كناتيكت لمصافحته.

وُصف توين بأنه «سيرفانتيس الأميركي»، و«هومرنا» و«تولستوينا»، و«شكسبيرنا»، و«رابيليسنا». فمن اللغة العامية المنعشة ، والمرح الجامد المتحجر تخللت رسوماته الكوميدية الهزلية المبكرة إلى الشخصيات الأميركية بشكل واضح، امتلأت بها قصصه، فقد عرّفت كتابات «توين» القراء حول العالم على شخصيات أميركية حديثة بإيقاعات أميركية مميزة. فمغامرات هكلبري فن كانت بمثابة إعلان الاستقلال الأدبي لأميركا، وهو كتاب لا يمكن لأي رجل إنجليزي أن يكتبه - كتاب وسّع الإمكانيات الديمقراطية لما يمكن أن تفعله رواية حديثة وما يمكن أن تكون.

لقد ساعد «توين» في تحديد إيقاعات النثر لدينا، ومعالم الخريطة الأخلاقية عندنا. وقد شاهد أفضل ما لدينا وأسوأ ما فينا، ووعدنا المفرط وإخفاقاتنا المُذهلة، ونواقصنا الهزلية وعيوبنا المأساوية. وقد فهم الأحلام والتطلعات الأميركية أفضل مما فهمناها نحن أنفسنا، وفهم إمكانياتنا لتحقيق العظمة وإمكانياتنا لجلب الكوارث. وقد أنارت قصصه العالم الذي فيه بشكل بديع، والعالم الذي ورثناه عنه، وقد غيره وغيرنا معه في هذه العملية. وقد عرف أن أقدامنا كثيرًا ما تطرب للألحان التي بقيت بطريقة ما إلى ما بعد سماعنا لها؛ وبطبقة صوتية بديعة أعاد هو عزفها على مسامعنا، وقد علم بإحساسه الصائب الكلمة الصحيحة وعلى الناس أن ينتبهوا إليه حين يتكلّم، سواء كان الكلام شخصيًا أو من خلال الكلمة المكتوبة.

(فالفرق بين الكلمة الصحيحة تقريبًا والكلمة الصحيحة حقًّا هو في الحقيقة مسألة كبيرة – فهو أشبه بالفرق بين الدودة المضيئة في الليل والبرق).

لقد أثارت قصص «توين» الملتوية، والأصلية جدًا، الخيالية منها والحقيقية، بعض التحديات الفوضوية والشائكة بشكلٍ دائم، التي ما زلنا نتصارع معها حتى اليوم - مثل التحدي المتمثل في فهم معنى دولة تأسست على الحرية، على يد رجال كانوا يحتفظون بعبيد عندهم؛ أو لغز إيماننا المستمر العميق بالتكنولوجيا رغم وعينا بقوتها المدمرة؛ ومشكلة الإمبريالية والصعوبات التي ينطوي عليها التخلّص منها.

في الواقع أنه من الصعب العثور على مشكلة تلوح في الأفق اليوم، لم يكن توين قد تناولها أو تطرّق إليها في مكان ما من أعماله. الوراثة مقابل البيئة حقوق الحيوان الحدود بين الجنسين مكانة أصوات السود في التراث الثقافي للولايات المتحدة توين كان حاضرًا. قال الكاتب الساخر «ديك غريغوري» ذات مرة إن «توين سبق عصره إلى درجة تجعل من المستحسن ألا يتم التحدث عنه في نفس اليوم كالأشخاص الآخرين».

وقد أشيد بتوين في بداية مشوار حياته المهنية، باعتباره كاتبًا ساخرًا موهوبًا .ولكن السطح الهزلي ظهر ليخفي وراءه أعماقًا غير متوقّعة. فقد كتب «توين» مرة إلى صديق له في عام ١٩٠٢ يقول: (نعم إنك مُحقّ، فأنا فيلسوف أخلاقي متنكر). وقد تحدى توين مرارًا وتكرارًا توقعات القراء، مشكّلًا بذلك روايات لا تنسى، من مواد كانت سابقًا لا تعتبر ضمن الأمور المتعلقة بالأدب.

وعلى حد تعبير «وليام دين هاولز» فهو «إنه يتسكّع في عالم الأدب المرتب، ويتسكّع عبر دربه المصون بعناية، ويمشي حول العشب عن رغبة خاطر، على الرغم من جميع اللافتات

التي رفعت منذ بداية الأدب، والتي تحذر الناس من مغبة المخاطر المترتبة على أقل قدر من التعدي».

لقد ألهم «توين» الإنسان والرؤوف والساخر، والصبور والمروع والمتعصب للالتزام والمعقد، كتّابًا عظماء في القرن العشرين، حتى أصبحوا على الحال الذي صاروا عليه - ليس فقط في الولايات المتحدة، ولكن حول العالم. وقد تعجب الكتّاب من فن «توين» الذي صنعه من تعبير عامّة الناس - هذا الذي كان يواجه ظهوره في الأدب سابقًا، في أغلب الأحيان بالسخرية. وقد ذكر «خورخي لويس بورخيس» أنه في كتاب هكلبري فن «لأول مرة يستخدم كاتب أميركي لغة أميركا دون تكلف». وعرف توين الكتاب الأميركيين من آرثر ميلر إلى ديفيد برادلي، ورالف إليسون، وأورسولا لي غوين، وتوني موريسون، على دروس هامة لا تُحصى حول فن كتابة القصص الخيالية. وقد وجد بعض الشخصيات الرئيسية في مجال الفنون البصرية أيضًا أن قراءة أعمال مارك توين تعتبر تحويلية.

فعلى سبيل المثال، يعزو رسام الكاريكاتير «تشاك جونز»، الذي لعب دورًا رئيسيًا في تطوير رموز ثقافية شعبية أميركية مثل «رود رانر» و«وايلي كويوتي» و«باغز باني» أصول هذه الشخصيات إلى قراءته المبكرة لكتاب «مارك توين» الحياة الخشنة.

منحت «صحيفة التايمز اللندنية» لقب توين السفير المتجول للولايات المتحدة. إذ إنه كان قد شهد أجزاء من العالم أكثر مما شهده أي كاتب أميركي شهير آخر ممن سبقوه، وترجمت كتبه إلى أكثر من ٧٠ لغة. وقد جعل منه رسّامو الرسوم الكاريكاتيرية أيقونة معروفة في جميع أنحاء العالم بصفة «العم سام». لقد كان توين حقًا أول المواطنين العالمين الأميركيين، لأنه شخص كان يشعر حين يكون في أي مكان العالم وكأنه في وطنه الأصلي.

وقد تساءل «توين» في ورقة قدمها في العام الذي صدرت فيه روايته هكلبري فن، «ما هو القانون الأكثر صرامة في وجودنا؟» وجوابه هو؟ النمو. إذ لا يمكن لأصغر ذرة من كياننا ومعنوياتنا العقلية أو البدنية أن تظل ثابتة لسنة وبعبارة أخرى، إننا نتغير - ويجب أن نتغير بشكل مستمر، ونحافظ على التغير طالما حيينا- « فهذا الطفل الذي ينتمي إلى أسرة تمتلك العبيد، قد نشأ ليكتب رواية تعتبر في نظر الكثير من أشد الروايات مناهضة للعنصرية بشكل عميق يكتبها أميركي من واقع تجربته الشخصية. وبسبب انزعاجه نظرًا لأنه فشل في إثارة الأسئلة عن الوضع القائم الظالم خلال فترة طفولته في «هانيبال»، فقد أصبح «توين» من أشد المنتقدين لقبول الناس بما أسماه «أكذوبة التأكيد الصامت» - « التاكيد الصامت بأنه لا شيء يحدث يعرف به الرجال المنصفون والأذكياء وهم يقومون بحكم واجبهم بمحاولة وقفه».

كما علمته التجربة أيضًا ألا يُقلل من أهمية الطاقة التحويلية للفكاهة والسخرية. ويقول هذا الكاتب الأميركي الساخر العظيم في كتاباته إن الجنس البشري، بفقره، يملك بشكل لا شك فيه سلاحًا فعّالاً واحدًا ألا وهو الضحك. فالسلطة، والمال، والإقناع، والتوسل، والاضطهاد - كلها يمكن أن تزول بفعل خدعة هائلة - بمجرد دفعها قليلًا- ومزاحمتها قليلًا وإضعافها قليلًا، قرنًا بعد قرن لكنّ الضحك وحده يمكن أن يدمرها محوّلًا إياها إلى خرق وذرات في انفجار واحد. إذ إنه لا يقوى شيء على الصمود أمام هجمات الضحك».

«شيلي فيشر فيشكين» أستاذة اللغة الإنجليزية ومديرة دائرة الدراسات الأميركية في جامعة ستانفورد، وهي مؤلفة أو محررة الكثير من الكتب عن «مارك توين»، بما فيها «هل كان هك رجلًا أسود اللون؟»، ومارك توين والأصوات الأفريقية الأميركية، «إضاءة الأرض»،

والكتاب الواقع في ٢٩ مجلدًا بعنوان «مارك توين أكسفورد»، وأخيرًا كتاب مارك توين عن الحيوانات، ومجموعة نصوص مارك توين: كتّاب عظام عن حياته وأعماله لقد تحدث «شيلي» عن كل صفات مارك توين وكل التساؤلات التي يمكن أن تطرأ علي ذهنك عندما تقرأ له .

هنري جيمس (١٨٤٣-١٩١٦)

كتب «هنري جيمس» في إحدى المرّات «أن الفن ولا سيما الفن الأدبي «يصنع الحياة، يصنع الاهتمام، ويصنع الأهمية».

روايات «جيمس» هي من أكثر الروايات صعوبة وتكلّفًا ووعيًا لذاتها التي ظهرت في عصره. اشتهر جيمس بموضوعه الدولي، أي بالعلاقات المعقدة القائمة بين الأميركيين السُّذَّج والأوروبيين العالمين.

كانت أعماله التي أطلق عليها كاتب سيرته الذاتية ليون اديل، مرحلة جيمس الأولى، أو المرحلة «الدولية» تشمل روايات مثل «الأميركي» (١٨٧٧)، و«ديزي ميلر» (١٨٧٩) ورائعته «صورة سيدة» (١٨٨١). وفي رواية «الأميركي»، على سبيل المثال، يسافر كريستوفر نيومان الصناعي المليونير الساذج، ولكن الذكي والمثالي إلى أوروبا بحثًا عن زوجة وعندما ترفضه عائلتها لأنه لا ينتمي إلى عائلة أرستقراطية، تتوفر له فرصة للانتقام لنفسه، ولكنه بقراره عدم القيام بذلك يظهر تفوّقه الأخلاقي.

كانت المرحلة الثانية لجيمس تجريبية استكشف مواضيع جديدة لرواياته، مثل المساواة بين الرجل والمرأة والإصلاح الاجتماعي في روايته «أهل بوسطن» (١٨٨٦) والمؤامرة السياسية في روايته «الأميرة كاساماسيما» (١٨٨٥). وفي مرحلته الثالثة، أو «الرئيسية»، عاد جيمس إلى التطرق إلى مواضيع دولية، ولكنه عالجها بإقناع عقلي وعمق نفسي أكبر.

تنتمي رواياته الأسطورية مثل «أجنحة الحمامة» (١٩٠٢)، و«السفراء» (١٩٠٣) (التي اعتبرها جيمس أفضل مؤلفاته) و«الوعاء الذهبي» (١٩٠٤) إلى هذه المرحلة الرئيسية.

فإذا كان الموضوع الرئيسي في أعمال «توين» هو المفارقة الهزلية بين الادعاء والواقع، فان الاهتمام الثابت «لجيمس» كان دائمًا هو الانطباع أو الإدراك الحسّي.

ففي روايات «جيمس» يولّد الإدراك الذاتي والوعي الحسي الواضح للآخرين الحكمة والحب المؤدي إلى التضحية بالذات.

«كاثرين فان سبانكرين»، أستاذة اللغة الإنجليزية في جامعة تامبا بولاية فلوريدا، ألقت محاضرات حول الأدب الأميركي في الخارج، وهي مديرة سابقة للمعهد الصيفي حول الأدب الأميركي للعلماء الدوليين، الذي ترعاه مؤسسة فولبرايت. تتضمّن منشوراتها الشعر والبحث العلمي. نالت شهادة البكالوريوس من جامعة كاليفورنيا، بيركلي، وشهادة الدكتوراة من جامعة هارفارد.

التّهمة التي اتهم بها مارك توين:

يندهش الكثيرون عندما يعلمون أن عمل «مارك توين» في شبابه المبكّر في إحدى المطابع قد أتاح له فرصة للمعرفة والثقافة، لا تتيحها المدارس والمعاهد النظامية .. لأنه قد استطاع هضم الأدب الانجليزى كله ولم يتعد سنوات المراهقة بعد، كما قرأ فى التاريخ والفلسفة وتمكّن فيما بعد من إجادة عدة لغات من تلقاء نفسه. وهذا يدحض التهمة التى حاول بعض النقاد إلصاقها به، حيث ادعوا أنه جاهل ضيّق الأفق لا يكتب ولا يسجل إلا ما يُشاهده فقط مثلًا فى رواية « هكبلري فن» نجد تأثّرًا برواية «دون كيشوت» وخاصة في سخريته من البطولات الرومانسية التى وردت فى روايات السير «وولتر سكوت»، وأيضًا في عصر البيرلبسك الذى يقلّد مواقف «شكسبير» وشخصياته بأسلوب مُثير للضحك.. كان

من المحتمل أن تتقيّد عبقرية «مارك توين» باعتبارات شتى في حالة تلقيه تعليمًا منتظمًا .. لكن ثقافته الذاتية المتنوعة شكّلت مع فكره غير التقليدى مزيجًا لا نظير له من النظرة الشاملة للمجتمع والإنسان، ومن الأسلوب المتفرد الذى لا يكتب به سوى «مارك توين».

لعل أكبر خاصية اشتهر بها هي سرعة البديهة، ولمحاته المرحة في رواياته، ولكن قد يخفى على البعض أنه في إمكانه الانتقال في لحظة واحدة فقط من الدعابة المرحة إلى السخرية المريرة، ومن يتعمّق في أدبه يكتشف أن عناصر الكآبة والحزن واليأس، كانت أعمق وأشمل من روح الفكاهة التي اشتهر بها.. ويبدو أن هذه الروح المرحة ظاهريًا كانت مهْرَبه الوحيد من الوقوع في براثن اليأس المطلق المؤدي إلى الجنون .. لكنها لم تطمس رؤيته الواضحة والمحددة لجوهر المأساة الذي ينطوي عليه هذا الكون، ويشكّل تردده بين الدعابة المشرقة والمرارة اليائسة المفتاح الرئيسى لفهم أدبه كلّه .. لذلك لا يُعد «مارك توين» بالبساطة والسهولة التي يعتقدها البعض في رواياته.. فهذه نظرة القُرّاء الباحثين عن التسلية المؤقتة والإضحاك السريع.. ورواية مثل «هكلبرى فن» في نظرهم ليست سوى صورة مرحة لمرتع للأوغاد على نهر المسيسبي.. ولكن الذى يتعمق فى قراءتها سيكتشف أن روح الدعابة والمرح الظاهرية تحتوي على جهامة مظلمة تبلغ حدّ المأساة.. ويكفي وجود «ينجر جيم» طريد المجتمع وضحيته، والذى يضارع في بطولته بطولة هكلبرى فن نفسه.

حيرة وتردد وعذاب

بطبيعة الفنان أنه تنتابه أحيانًا بعض التغيّرات، عندما يعكف على الكتابة؛ فأحيانًا يعمل بسلاسة وأحيانًا أخرى يتوقف المشروع بالكامل، قد يمتد هذا التوقف لفترة قصيرة وقد تطول كما حدث مع «توين» في بعض رواياته وأعماله، وكانت النتيجة أنه لم يتمّها إلا بعد ست سنوات من التوقّف المتردّد والمحير. عاد إلى تكرار هذه العملية المقلقة فى أعمال أخرى

تركها بدون أن تكتمل، ولم ينشر معظمها حتى الآن، وعلى الرغم من الرؤية المحدّدة التى تميّز أعماله وتدمغها بطابع خاص بها، فإن حيرته المعذّبة النابعة من غموض الكون وتعقيده منعته من الوصول إلى فلسفة ناضجة متكاملة، ترى الحياة كلّها فى شمولها من خلال نظرة موضوعية لا تتعلق بالأمل أو تهرب من اليأس ، ولعل الفلسفة المحددة التى وصل إليها فى أواخر حياته قد تمثّلت فى الحتمية القدرية، التى تؤكّد أنه لا يوجد اختيار حقيقي للإنسان فى هذا الكون، وأنه عليه أن يخضع لكل ما تأتي به الأقدار.

مارك توين وموقفه من النساء:

هناك ظاهرة واحدة فى روايات مارك توين، وهى أنّها تكاد تخلو من الشخصيات النسائية وباستثناء «الذكريات الشخصية لجان دارك»، التي نرى فيها إعجاب «مارك توين» البالغ بشخصية «جان دارك» ، فإن عالمه هو عالم الصبية والشباب والرجال. لكن يبدو أيضًا أن سبب كتابته عن «جان دارك» أنه استغل خلفيته الثقافية العريضة، فى مجال التاريخ لكى يجسّد موقف الإنسان تجاه الكون من خلال شخصيتها..

مارك توين أظرف كتّاب أميركا

مارك توين أظرف كتّاب أميركا «هذا ما قاله الأديب الأميركي الكبير أرنست هيمنجواي» صحيح أن شر البليّة ما يُضحك، ولقد صادف «مارك توين» من البلايا والمصائب الكثير والكثير سقطت فوق رأسه دون هوادة أو رحمة وربما هذا ما جعله من أهمّ وأعمق و أظرف كتّاب أميركا، حتى إن كثيرين يقدمونه على «ثيرفانتس وسويفت وموليير».

بعد معاناته في طفولته حارب في أثناء الحرب الأهلية عام ١٨٦١، وهي بدورها خبرة لم ينسها فقد كان يقول «الحرب هي قتل مجموعة من الأغراب الذين لا تشعر نحوهم بأي عداء ولو قابلتهم في ظروف أخرى لقدّمت لهم العون أو طلبته منهم» وفكاهاته ذات طابع عام

حيث يتفهمها أي شعب، وقد قال الروائي الأميركي أرنست همنغواي: إن «مارك توين» بقدرة أسلوبه وذكائه لخّص الأدب الأميركي كلّه في روايته «هكلبري فن».

نوادر فكاهية لمارك توين

- سُئل مارك توين مرة عن رأيه في الفيلسوف الألماني «نيتشه» ويكتب اسمه هكذا Nietgsche، فأجاب تسألني عن رأيي فيه؟ هناك حروف كثيرة في اسمه لافائدة منها.
- وصل توين ذات مرة إلى فندق للمبيت، فقدّم إليه المستخدم السجل الخاص بالنزلاء ليكتب اسمه فيه، فلاحظ أن آخر سطر في السجل، اشتمل على اسم البارون: أونتيل وخادمه، فكتب هو في السطر التالي له: مارك توين وحقيبته.
- ذهبت إحدى السيدات إلى مارك توين، وقالت: إنها متعلّقة بالأدب وتود أن تشتغل به ولذلك فقد جاءت إليه لتسأله عن أفضل طريقة للكتابة، فقال لها على الفور: من اليسار إلى اليمين ياسيدتي.
- وأرسل توين مرة اثنتي عشرة برقية إلى اثنتي عشرة شخصية من أكبر الشخصيات في مدينة هانيبال الأميركية، وكانت جميعًا نبضًا واحدًا هو: «اهرب لقد أكتشف كل شيء». وفي أقل من ساعة كان الاثنا عشر المعنيون قد غادروا المدينة.
- وأيضًا نجد أن في آرائه والكثير من أقواله السخرية والطرافة والجرأة .

(لماذا الشجاعة البدنية أكثر شيوعًا من الشجاعة الأخلاقية!)

Man is the only animal that blushes - or needs to.

(الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يحتاج للشعور بالخجل.)

One of the most striking differences between a cat and a lie is that a cat has only nine lives.

(الفرق بين القطط والكذب أن القطط بسبع أرواح فقط).

The human race has one really effective weapon, and that is laughter.

(سلاح الإنسان الوحيد الفعّال هو الضحك).

There are times when one would like to hang the whole human race, and finish the farce.

(أرغب أحيانًا بشنق الجنس البشري وإنهاء هذه المهزلة).

Thousands of geniuses live and die undiscovered - either by themselves or by others.

(آلاف من العباقرة عاشوا وماتوا دون أن يكتشفهم أحد أو أن يكتشفوا أنفسهم).

مارك توين عدوٌّ للجميع .

كانت حياة «مارك توين» سلسلة من المصائب، فهو الطفل المشاغب الذي لا يقول إلا ما يريده مهما كان قاسيًا أو مريرًا لذا ظفر بعداء الجميع.. وهو الاقتصادي الفاشل الذي يُطارده الإفلاس في كل لحظة، وهو البائس الذي رأى أخاه يحترق فوق سفينة في البحر حتى إن شعره شاب في دقائق بعدها.. ولم تكن هذه آخر مآسي حياته لقد مات ابنه الأول وتوفيت أعز بناته وتوفيت زوجته.

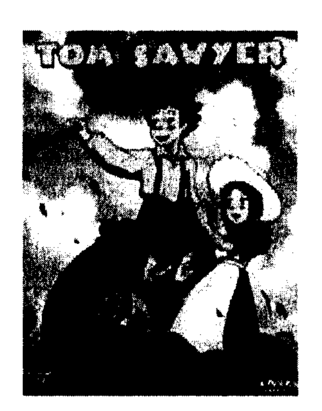
كان لكل هذا أثره العجيب في أدبه، لقد ازداد سخرية مريرة قاسية ولسان يصعب إسكاته مهما حاول، وبرغم هذا كله كان توين يحتفظ بالآراء الأكثر صراحة وقسوة لنفسه، وكان يكتب في كل موضوع كتابين؛ كتابًا يخفيه في دُرجه و كتابًا يعرضه على الناس.

شعبية توين

لم يكن لأي كاتب شعبية عاليةً بهذا القدر، سواء في أميركا أو في غيرها في أي بقعة من العالم من تمتع بشعبية «توين»، فهي تتزايد حتى إنه من الكتّاب القلائل، الذين كانوا

يقدمون حفلات قراءة جماعية، حيث يشتري الناس التذاكر لها فقط كي يجلسوا في مسرح كبير ليصغوا إلى «توين» وهو يتلو ما كتبه، إن قصصه هي مرآة صادقة شفّافة للمُجتمع الأميركي، شفافة إلى درجة أنها صارت عالمية، وغدا الناس جميعًا يستمتعون بحق لأدب هذا الأديب الكبير مهما تباينت ثقافتهم و ألسنتهم.

أشهر شخصيات مارك توين



الشخصيات الرئيسية في «توم سوير» والتي تم تنفيذها كمسلسل كرتوني للأطفال نال شهرة عالمية، «توم سوير» طفل ريفي شقيّ طيّب القلب، كسول جدًّا، غير ناجح في المدرسة، إنه محطّ اهتمام زملائه، فهو الشخصية المحبوبة والأكثر شعبية في مدرسته. اعتاد «توم» أن يساعده زملاؤه في حلّ واجباته المدرسية، هذا مقابل بعض الأعمال التي يقدّمها لهم خارج الفصل.

إنه الراوي في المسلسل، يلاحظ المشاهد نظراته المعبّرة والسلطويّة خلال الأحداث. غالبًا ما يتواجد في الغابة مع صديقه هكلبري فن.

- هكلبري فن هاك، متشرد، متسكع، طفل تعلّم أن يعيش وحيدًا بدون عناية الكبار وتدخّلهم، فأمّه متوفاة و والده مريض، وهو ثاني شخصية معبّرة في المسلسل ترمز إلى الطفولة بكل براءة، وقد قام مارك توين بتأليف كتاب شهير عن هذا الطفل وحده، دون إدراج توم سوير في الأحداث، يلبس «هاك» دومًا نفس الثياب البالية، ويضع على رأسه قُبَّعة، يسكن في منزل خشبي فوق شجرة في الغابة، ويتغذى من ثمار الأشجار وكل ما هو طبيعي، و لا يتحمل أن يتدخل أحد في حريته، كما أنه أول

صديق تعرف عليه توم ولعب معه، يلعب «هاك» دورًا أساسيًّا في المسلسل لا يقل أهمية عن دور توم سوير .

- ريبيكا تاتشر: هذه الطفلة جاءت إلى سانت بيتريسبورغ، في بداية المسلسل، بسبب عمل والدها، أنيقة دومًا، و ذات ضفيرتين حمراوين، وهي من الشخصيات التي تجسّد الأطفال الذين يعيشون ضمن الأسر الميسورة، ورغم كونها أنثى فهي تشارك توم في مغامراته.
- الخالة بولي: امرأة في الخمسينيات، ذات قلب كبير، تُربّي ولدَي أختها المتوفاة، فهي بمثابة أم «توم» و «سيد»، و هي صارمة جدًّا بطبعها، و في تربيتها للأطفال، ورغم شقاوة توم والمشاكل التي يسببها، فإنها تملك حنانًا كبيرًا لا يُضاهى تجاهه وتجاه أخيه الصغير.
- سيد سوير: إنه أخ توم، ويمثل شخصية مناقضة تمامًا لأخيه، يضع نظّارةً للرّؤية، جدّي، يقضي معظم وقته في القراءة، ثيابه نظيفة جدًّا ومرتّبة، يبكي أحيانًا كالأطفال الذين هم في مثل عمره، لكنه يتمتع بالشّهامة، و يذكّر أخاه بما يجب أن يفعله، فهو من المعجبين بتوم سوير.
- ماري: ابنة الخالة بولي، تعتبر الشخصية المثالية في المسلسل، دومًا لطيفة ومتفهّمة ومبتسمة، كما أنها تساعد دائمًا والدتها.
- جيم: العبد الزنجي الوحيد في الأسرة، يبدو كأخ كبير للطفلين، دائمًا مبتسم، ودومًا في الخدمة، يقوم بالأعمال التي من المفترض أن توكل للرجال يعامله توم على أنه رجلٌ ويستشيره في الأمور الصعبة.

قـراءة في رواية هكلبري فن

أعظم روايات مارك توين

ليس من الغريب على «مارك توين» عاشق النهر والترحال على السفن والقوارب والذي عمل فيها في فترة طفولته وصباه، أن يتأثر بتلك الحياة حتى تدور أحداث روايته هكلبري فن في المياه على الطوف أو القارب، فلقد كان هاك(هكلبري) بطل الرواية لا يشعر بالأمان إلا عندما يكون بعيدًا عن الناس سواء في المياه أو في الغابة، فيعيش حياة بسيطة يصطاد الأسماك من النهر ويقوم بشيّها ويتقاسمها مع جيم خادم السيدة واطسون، الذي فرّ هاربًا بعد أن استمع إلى حديثها مع أختها عن ضرورة بيع «جيم» والإستفادة بثمنه، فخوف جيم كان يتمثل في ذلك الشبح ألا وهي العبودية.

لقد مهّد «مارك توين» لصداقة كل من هاك وجيم، فالظروف التي عاشها هكلبري مع والده المخمور دائمًا، والذي يتعامل معه بقسوة شديدة، جعلته يهرب منه هو الآخر ويبحث عن حياة هادئة لينال حريته، خصوصًا أن والده هدّده، عندما عاش مع السيدة واطسون وجعلته يذهب للمدرسة، أنه سوف يقضي عليه نهائيًا إذا ذهب إلى هناك أو شاهده في فنائها، علاوة على أنه كان يضج بالحياة الملتزمة في منزل السيدة واطسون، وخصوصًا أنها كانت تنبّه دائمًا على ضرورة إتباعه للتقاليد والآداب في كل شيء؛ الملبس والمظهر والمحافظة على نظافة الثياب، الطعام وآداب المائدة، وعدم الشروع في تناول الطعام، إلا بعد أن تصدر أوامرها بذلك وتكون قد انتقدت كل شيء في الطعام حتى، ولو لم يكن هناك ما ينقد، كل هذه الأعباء جعلت «هاك» يفكر في الهرب، فلم يكن يشعر بعطف وحنان من أبيه فهو لا يفيق من الخمر والسكر، وبمجرد أن يشرب الخمر يتحوّل إلى وحش هائج يضربه ضربًا

مبرحًا حتى إنه حاول قتله عدة مرات ونفد منها بأعجوبة، يُظهر هاك ذكاءً خارقًا في التخطيط للهرب، ويضلّل والده والذين سيبحثون عنه حتى لا يجدوا له أثرًا، ويعمل حساب كل خطوة قبل أن يخطوها.

الطبيعة مصدر السعادة:

كانت الطبيعة دائمًا هي مبعث الترويح عنه ومصدر سروره وسعادته، فنجده مثلًا وهو مع «جيم» ينتقلان من مكان لآخر، ويبحران ضد التيار بعد أن عانوا من فقدهم لمدينة كايرو أو «القاهرة» في ولاية «اللينوا» والتي يخترقها نهر أوهايو يقول: كنا نقلع بالطوف بمجرد أن يبدأ الظلام، وقبل طلوع الفجر بقليل، كنا نرسو بالطوف في أية منطقة رملية قرب الشاطئ، ثم نخفيه عن الأنظار ببعض الأعشاب وفروع الشجر، وبعد ذلك ننصب السنانير لاصطياد الأسماك، ونتركها تؤدي دورها دون أن نبذل من جانبنا أي تعب أو عناء، ونبدأ بعد ذلك في السباحة للترويح عن أنفسنا ونغسل متاعبنا في ماء النهر، ولنراقب قرص الشمس وهو يشرق في الأفق، ونتمتع بالنسيم الذي يهب بلطف ونعومة، والهواء النقي البديع الذي يحمل إلى أنوفنا رائحة الزهور وأشجار الغابات».

فنجد أن هاك وجيم قبل شروق الشمس يختفيان في الغابة؛ فالنور خوف ومطاردة بالنسبة إليهما، والظلام راحة من الناس والتهديدات، فهما ينطلقان بمجرد هبوط الظلام في النهر نحو مسيرتهما إلى الحرية في ولاية «كايرو» التي لم تكن تطبق نظام العبيد، يستمتعان بالنسيم وتتسلل إليهما رائحة الزهور صورة جميل تبين إلى أي مدى تأثر الكاتب وتوحد مع الطبيعة التي عكسها على بطليه «هك وجيم» وخصوصًا وهما يتخلصان من همومهما بالإستحمام في مياه النهر فكأنهما يلقيان بكل المتاعب والأحزان في النهر، فيتجدد شعورهما ويقبلان على الحياة من جديد ليواصلا الرحلة.

ونجد معاناة «هاك» عندما تعرف بأسرة الكولونيل «جرانجر فورد» رب الأسرة التي هبط عليها بعد فقده لجيم واصطدام الطوف بسفينة عملاقة وكاد يموت غرقًا لولا بعض المحاولات التي قام بها، وهنا يواجه قضية أخرى جعلته يضيق ذرعًا بالمكان وهي قضية الثأر بين العائلتين عائلة «جرانجر» وعائلة «ريتشاردسون» والتي يضيع نتيجة لها أفرادٌ كثيرون من العائلتين، ولكنه يرى بعينيه موت الفتاة الجميلة التي أحبّت شابًا من عائلة «ريشاردسون» ليدفعا حياتهما ثمنًا لحبهما، وثمنًا لكراهية لم يكن لهما فيها دخلًا وكأنهما يطهّرا العائلتين بهذا الحب والموت من أجله.

ولو تأمّلنا الطوف الذي يهرب فيه «هك وجيم» كأنه قارب النجاة لكل المطاردين والمظلومين المضطهدين فنجد هك يقول:

«فجأة رأيت رجلين يجريان نحوي وقد تقطّعت أنفاسهما من شدة التعب، وتوسّل إليَّ الرجلان لكي أنقذ حياتهما .. وأخبراني أن الناس والكلاب قادمون خلفهما، ويتعقبون أثرهما، فأركبتهما القارب وجدفت نحو الطوف، كان الرجل الأول عجوزًا في نحو السبعين من عمره، له سوالف كثيفة من الشعر الأشيب، بينما كان رأسه خاليًا من الشعر على الإطلاق، أما الرجل الثاني فقد كان شابًّا في نحو الثلاثين، وكان كل منهما يحمل معه حقائب كبيرة. وسمعت حديثًا غريبًا دار بين الرجلين، فقد قال العجوز ذو السوالف البيضاء لزميله:

- ما هى قصتك.. وما هو سبب متاعبك؟، فأجاب الشاب: كنت أبيع مادة، أدّعي أنها تنظّف القذارة المتراكمة على الأسنان، وتمنع تسوّسها، ولكن هذه المادة -وإن كانت تنظّف صدأ الأسنان فعلًا- إلا أنها كانت تمحو السطح الخارجي للأسنان وتسبب بعض الألم، ويظهر أنني قد بقيت في ذلك المكان أكثر من الوقت المناسب، وعندما اكتشفوا أمر تلك المادة بدءوا يطاردونني، فجريت إلى أن صادفتك عند الناصية

وأنت تجري أيضًا، وأخبرتني أنهم قادمون من تلك الناحية وقلت لنفسي لنجري معًا، هذه هي قصتي والآن ما هى قصتك أنت؟

- **فقال العجوز ذو السوالف البيضاء:**

لقد جئت إلى ذلك المكان منذ حوالي أسبوع، وفي كل ليلة كنت أعقد للناس محاضرة ضد الخمر والمسكرات، وأبين للناس مضارها وآثارها السلبية ونظير ذلك كنت أحصل على ستّة دولارات في كل محاضرة .. ثم انتشر بين هؤلاء الناس خبر يؤكد لهم أنني أشرب الخمر سرًّا، وفي صباح هذا اليوم أيقظني أحد الزنوج وأخبرني أن الناس سوف يقبضون عليّ ويجرمونني، وسوف يدهنون جسمي بالزِّفت ويغطونني بريش الطيور ليسخروا مني في جميع أنحاء القرية، لذلك فقد شرعت في الهرب والفرار فورًا، دون أن أنتظر حتى لتناول إفطاري رغم أني كنت وما زلت جائعًا حتى الآن.

- **وهنا قال الشاب:**

ولكن ما هو عملك الأساسي؟

- مطبعجي.. وأحيانًا أعمل كطبيب يداوي الجروح والأمراض .. أو ممثل أو أقوم بتدريس الغناء والجغرافيا.. وللتغيير كنت أقوم في بعض الأحيان بإلقاء الخطب والأحاديث في أي موضوع من الموضوعات وبمقابل معقول .. وأنت ما هو عملك الأساسي؟

- **فقال العجوز؟**

آه.. أحيانًا كنت أعمل كطبيب لمداواة جميع أنواع الأمراض.. وأستطيع أن أتنبأ بالبخت وأرى الطالع، إذا وجدت شخصًا يعمل معي في هذا المجال ليزوّدني سرًّا

بالمعلومات التي يمكنه تجميعها .. وفي أحيان كثيرة كنت أعمل في إلقاء الخطب والمواعظ.. وبعد فترة قصيرة ساد فيها الصمت .. تنهّد الشاب بعمق وقال:

- لقد ضاع كل شيء..
- **فتساءل الرجل العجوز**: لماذا.. وما هذا الشيء الذي ضاع منك؟
- **فقال الشاب وهو يمسح طرف إحدى عينيه بخرقة بالية**: إني أفكر فيما آلت إليه أحوالي، وهذه الحياة البائسة التي كُتب عليّ أن أحياها، لقد أخذَت مني الدنيا كل شيء.. أخذت أحبابي.. أخذت ممتلكاتي.. أخذت كل شيء.. ولكنها لن تستطيع أن تأخذ مني قبري.. ففي يوم ما سأرقد في هذا القبر ومعي قلبي المُحطّم المسكين، ولكني سأستريح من كل هذه المتاعب»

إن المتأمل لحياة «مارك توين» منذ بدايتها، وحتى نهايتها يجدها ماثلة أمام عينيه من خلال شخصيات «هكلبري فن»، فلست ممن يدّعي أن الكاتب يروي قصة حياته ولا أوافق أيضًا على ذلك الرأي الذي يقول إن الكاتب يكتب شيئًا مختلفًا تمامًا عما يحياه، ولكنه بين هذا وذاك، ينفعل بحياته ويضيف إليها من خياله، ونجد هنا «مارك توين» لم يعرض حياته من خلال شخصية واحدة ولكننا نجده في طفولته وصباه يظهر لنا من خلال شخصية «هكلبري» بطل الرواية، ويظهر براعته في ركوب النهر، ويستخدم الكاتب تلك المغامرات التي تحدث عبر النهر، ولقد صرّح «مارك توين» أن كل الشخصيات التي كتب عنها حقيقية قابلها في حياته ويضيف إليها من ذاته وخياله سواء من المطاردين، أو التغيرات المناخية وما يعتريها من سوء أحوال الجو والشبورة واستحالة الرؤية والأفاقين والنصّابين المحتالين الذين يستدرون عطفك في النهاية أنهم غير أهل لذلك.

ونجده أيضًا في جانب من حياته هو الرجل العجوز الذي يتحدّث بيأس وإحباط ومرارة عن فقده لكل شيء، أحبابه وماله وممتلكاته وتلك النظرة الكسيرة لقلبه عندما يقول «و العواصف أو السحب ففي يوم ما سأرقد في هذا القبر ومعي قلبي المحطم المسكين ولكني سأستريح من كل هذه المتاعب».

فهنا تتبلور شخصية «مارك توين» الحقيقية وإحساسه وشعوره بالألم الحقيقي، عندما فقد ابنته وزوجته وماله وممتلكاته، فهو كاتبٌ بارعٌ يوزّع خبرته على شخصياته بحنكة ومقدرة فائقة وبحدود عندما تحتاج الشخصية ذلك التكوين. ولم ينس «مارك توين» مهنته التي عمل بها وهو صبي المطبعجي فراح يلبسها لبطله العجوز، فهو يستفيد من كل ما مرّ به من خبرات حياتية ورصيد يضيفه لشخصياته فيلبسهما ثقافة الواقع الحقيقي المعيش.

- **ونجد طرافة «مارك توين» تظهر في جمله وحواراته:**
- فنجد الشاب يقول للعجوز: إذن.. فسوف تشترك معي في التمثيل.. وعندما نصل إلى أول مدينة صغيرة قادمة سنقوم باستئجار إحدى القاعات لنقدّم على مسرحها مشهد المبارزة بالسيوف من مسرحية «ريتشارد الثالث»، ومشهد المناجاة في البلكونة من مسرحية «روميو وجولييت» لشكسبير..
- ويرد عليه العجوز: أني لا أعرف أي شيء عن فن التمثيل يا دوق بريدج ووتر.. فهل يمكنك أن تقوم بتعليمي وتدريسي؟
- طبعًا .. وبكل سهولة
- إذن، فلنبدأ الآن فأنا جاهز.

وهنا قال الدوق إنه سيمثل دور روميو، وسيقوم الملك العجوز بتمثيل دور جولييت، فقال الملك مترددًا:

ولكن يا سعادة الدوق إن جولييت كانت شابة صغيرة، وأنا عجوز أصلع بلا شعر في رأسي.. وسوالفي الكبيرة من الشعر الأبيض تغطي خدي ألن يبدو ذلك غريبًا وأنا أقوم بدور جولييت..؟

- فقال الدوق بلا تردد: هذا لا يهم على الإطلاق..

الكاتب الأميركي «مارك توين» الساخر، الذي اتهمه البعض بالضحالة أحيانًا، وعدم العمق لأنه كان يلجأ للسخرية من المواقف والقضايا المعقدة، نجده هنا في رواية هكلبري فن يتجول ما بين السخرية والجدية والدراما والعبثية وربما استوقفني الموقف الذي حدث بين العجوز والشاب والذي ادعى كل منهما أن أحدهما دوق والثاني ملك، إلا أنه من خلال تدريبهما وتوقفهما في إحدى المدن ليعرضا مشهدًا من مسرحية ريتشارد الثالث ويعلنان أن الدخول للرجال بخمسة وعشرين سنتًا بينما للأطفال والخدم بعشرة سنتات «ولكن لم يحضر العرض سوى اثنا عشر متفرجًا فقط، دفعوا مصاريف العرض بصعوبة، وقد ظلّ المتفرّجون يضحكون ويسخرون بالتمثيل وبالممثلين..لدرجة أن الدوق(الشاب) قد أوشك أن يُجنّ من شدة الغيظ والإحباط .. وقال إن هؤلاء الفلاحين الجهلاء لا يفهمون شكسبير ولا يعجبهم سوى المسرحيات والعروض الهابطة ..

وفي صباح اليوم التالي قام الدوق بطباعة إعلانات جديدة، علقناها في جميع أنحاء المدينة الصغيرة.. وكانت الإعلانات تقول هذه المرة:

في البلاط الملكي لمدة ثلاث ليال فقط، أشهر ممثلين في العالم ديفيد جاريك الصغير، آدموند كين الكبير وكتب على العرض ملحوظة الدخول بخمسين سنتًا وللكبار فقط ولا يسمح بدخول النساء ولا الأطفال وبعد ذلك قال الدوق: هكذا وإذا لم تجذبهم هذه

الإعلانات، فليكن معنى ذلك أني لا أفهم عقلية هؤلاء الفلاحين الجهلاء وسترون بأنفسكم ما سوف يحدث الليلة..

عندما بدأ العرض.. وقف الدوق على خشبة المسرح، وبالممثل ادموند كين الكبير الذي أشار إليه بأنه سيؤدي الجزء الأكبر من عرض الليلة. وأخيرًا رفع ستار المسرح ودخل الملك على الفور زاحفًا على أربع وأخذ يرقص ويؤدي حركات تثير الضحك وكان جسمه مغطى بجميع ألوان قوس قزح ومنقوشًا بنقط وخطوط دوائر وأشكال مختلفة.

واستغرق جميع المتفرجين في الضحك .. بل وكاد بعضهم يموت من شدة الضحك والحقيقة أن منظر الملك وحركاته كان مثار سخرية وكانت الطريقة التي يؤدي بها هذا العرض الغبي قادرة على أن تضحك أية قطة لو جاءت لتشاهد هذا المنظر.وبعد أن أنزل الدوق الستار.. وقال للمتفرجين إن الفرقة ستؤدي عرضها في الليلتين القادمتين فقط لأنها مرتبطة بموعد هام في لندن..وهنا صاح عشرون متفرجًا

- ما هذا، هل انتهى العرض هل هذا كل شيء.. ؟

فأفهمهم الدوق أن العرض قد انتهى فعلًا وحدث هياج وزمجرة، ولكن رجلًا أنيقًا قام من بين المتفرجين وصاح فيهم: انتظروا أيها الناس والزموا الصمت واسمعوني جيدًا، لقد خَدَعَنا .. وضَحك علينا هؤلاء الممثلون وسوف نصبح مثار سخرية لأهل المدينة كلهم.. ولهذا فلا بد أن ندّعي أن هذا العرض المسرحي جيّد وجدير بالمشاهدة حتى يحضر أهل المدينة كلهم ويشاهدوا العرض بأنفسهم وبهذا نصبح جميعًا في نفس المركب، ولن يستطيع أحدًا أن يسخر منا. ما رأيكم؟ هل توافقونني على ذلك؟

■ فصاح المتفرجون:

إذن.. فلنعد إلى المدينة وننصح كل من نعرفهم بأن يحضروا ليشاهدوا هذا العرض بأنفسهم:

وفي الليل أقبل الناس من كل صوب وامتلأت قاعة العرض بالمتفرجين.

وفي الليلة الثالثة امتلأت القاعة بالمتفرجين ولكنني لاحظت أن معظم المتفرجين الذين حضروا العرضين السابقين قد حضروا أيضًا هذه الليلة، وكانوا جميعًا يخفون أشياء في جيوبهم وداخل معاطفهم وتسللت إلى أنفي رائحة البيض الفاسد والخضراوات العطنة والأشياء المماثلة الأخرى التي أحضرها الناس معهم.

وبعد أن امتلأت القاعة عن آخرها كنت أنا والدوق عند باب القاعة الخارجي، وتظاهر الدوق بأنه سيدور حول مبنى القاعة، وأشار إليّ خفية أن أتبعه وعندما وصلنا إلى منطقة مظلمة خلف القاعة: قال لي الدوق: هيا اجر إلى الطوف بأقصى سرعة، اجر وكأنك تفرُّ من شيطانٍ يتبعك.

هنا مهما قُلنا عن فهم الكاتب لمجتمعه، وفهم الطبيعة البشريّة، وتكوينها أنها دائمًا تحتاج للإثارة فعندما أُعلن عن العرض بشكل عادي لم يحضر أحد، وعندما رفع الثمن ومُنع بعض الفئات من الحضور كالأطفال والنساء كان هناك نداء خفيٌّ يدفع بهم لاستطلاع الأمر فدائمًا كما يقولون «الممنوع مرغوب».

وينتقل لمستوى آخر من الوعي عندما يعرف الجمهور الذي حضر أن ما هي إلا لعبة، وأنه قد تم خداعهم، يرفضون الاعتراف بالفشل والهزيمة، حتى لا يعيرهم المجتمع بأنه قد ضُحك عليهم وأن ينشروا بين كل الفئات في المجتمع، عن نجاح العرض حتى يكون الخداع كُلّيًا، وكان ذكيًا في اختيار الفئة التي ادعت ذلك فقد اختاره من طبقة اجتماعية ومستوى عال، وهو لا يقبل بحكم مستواه ومركزه الإجتماعي، أن يُخدع من هؤلاء النصابين، وعندما

يكون الموقف جماعيًّا فلا يستطيع أحد أن يتَّهم الآخر، وعندما أدركوا الحقيقة وقرّروا أن ينتقموا من الممثلين الذين ضحكوا عليهم، واستعدوا لهم بالبيض الفاسد والطماطم وغير ذلك كان أصحاب العرض المحتالين أسبق منهم في الفرار. وهنا نجح الكاتب إلى أبعد مدى في التعبير عن المجتمع عندما يريد أن يرفض شيئًا، أو يجعله عامًّا بشكلٍ فلسفي ينتهي بمزحة وخفّة ظلّ من كاتبٍ يُشهد له بباعٍ طويل في الكتابة الساخرة إنه «مارك توين» الساخر.

كذلك نجد عبقريته عندما يعكس لنا مظاهر سلبية بالمجتمع، من خلال مواصلة المحتالَيْن الشاب والعجوز بالتغيير والتبديل في ملابس مختلفة فيقول:

«لم أكن أعرف من قبل كيف تَقدِرُ الملابس على تغيير مظاهر الناس وتغيير صفاتهم الحقيقية».

فهو يود أن يقول للقارئ عن المظهرية، وطغيان الشكل على المضمون وكأننا على مسرح الأحداث في القرن الثاني والعشرين، فالإنسان هو نفسه لا يتغيّر، يميل للمظهرية في تصرفاته وسلوكه ولا يريد أن يخدع وحده، ولكن مع مجموع الناس لايهم.

ولكن نجد هنا الكاتب يسخر من سذاجة القرويين وثرثرتهم دون داع، وإنهم يُعتبرون لقمة مستساغة للنصّابين والدّجّالين، عندما يستدرجه الشاب الذي يمثّل دور الدوق ويعرف منه قصة مستر «ويلكس» كاملة ودون بذل مجهود فهو لم يحضر في الموعد المناسب فيقول له:

«هل فاته شيء يا ترى»؟

- فقال الشاب القروي: لا.. لم يفته الكثير فنصيبه في الميراث محفوظ.. ولكن فاته أن يلحق أخاه «بيتر» ليراه قبل أن يموت، إن هذين الأخوين لم يريا بعضهما منذ أن كانا صبية صغارًا.. وكان لبيتر أخ ثان أصمّ وأبكم اسمه وليم ولكن «بيتر» لم ير أخاه «وليم» طوال حياته.

وكان هناك أخ ثالث اسمه «جورج»، كان يعيش مع أخيه «بيتر» هنا وكان «جورج» هو الأخ الوحيد الذي تزوّج وأنجب ولكنه مات، وماتت زوجته أيضًا في السنة الماضية، والآن لم يبق من هؤلاء الإخوة إلا اثنين هما «هارفي» الأخ الأكبر و«وليم» الأخ الأصمّ الأبكم ولكنهما للأسف لم يصلا في الوقت المناسب لكي يريا أخاهما «بيتر» قبل أن يموت، ويظلّ القروي الساذج يحكي دون مبرر كل شيء فلا يترك واردة أو شاردة إلا وأتى بها، حتى مكّن النصّاب من معرفة الحكاية كاملة بأدقّ تفاصيلها ليحبك المؤامرة التي قرر أن يقوم بها على عائلة الميت.

- ونجد تلك النظرة العميقة عندما يقول: إن هذا يدل على أن الإنسان يمكنه أن يرى ولا يرى في نفس الوقت.

هنا يقصد أنه بالرغم من أن كل شيء قد يبدو واضحًا أمام كل منا إلا أن هناك أشياء تفوت عليه دون أن يدري، حسب قدراته وتعليمه وخبراته وما يتمتع به من ذكاء.

إن القارئ لرائعة «مارك توين» هكلبري فن، يجد نفسه رغمًا عنه تقوده مغامرات هاك وجيم وهو يتنقل في الأحداث، فيجعلك تبتسم من ذلك العجوز الأصلع الذي سيمثل دور جولييت، ثم يعود ثانية ويجعلك تتألّم بتألّم الزنجي الطيّب «جيم» وتركه لزوجته وأولاده ويتذكر ابنته الصغيرة فكان يقول بصوت خفيض بين حين وآخر:

- مسكينة يا صغيرتي اليزابيث.. مسكين يا صغيري جوني.. ألن أراكما مرة أخرى.. يالها من قسوة شديدة، إنّ هذا منتهى الظلم والألم.. كم كان جيم زنجيًا طيب القلب..ويعاود هك الحديث مع جيم فيقول جيم:
- هل تعرف يا هك لماذا حزنت هذه الليلة، لقد سمعت صوت صفعة على وجه أحد الأطفال بينما كنت جالسًا بالطوف عند الشاطيء.. لقد ذكَّرَتْني تلك الصفعة ..

بأنني قد عاملت طفلتي الصغيرة اليزابيث بقسوة بالغة حين كانت في الرابعة من عمرها .. لقد أصيبت المسكينة بالحمى القرمزية ولم أكن أعلم أنه مرض خطير يصيب الأطفال.. وعندما مرت فترة الحمى وأخذت صحتها في التحسن .. كانت تقف الطفلة المسكينة بجوار الباب المفتوح فقلت لها:

- أغلقي الباب وادخلي..

ولكنها لم تغلق الباب ولم تدخل.. بل ظلّت واقفة قُرب الباب وهي تبتسم لي في براءة.. ولكني صِحت بها مرة أخرى:

- ألا تسمعين.. قلت اغلقي الباب وادخلي وظلت المسكينة واقفة تبتسم، فجنّ جنوني وقلت لها غاضبًا: إذن سوف أُعلِّمُك كيف تسمعين الكلام، وقمتُ وصفعتها على وجهها صفعة أطارتها من على الأرض فأخذت تبكي، ودخلت إلى الحجرة الأخرى وبقيت هناك نحو عشر دقائق، ثم خرجت ورأيت الطفلة ما زالت واقفة جوار الباب المفتوح والدموع تسيل على خديها، ولكن في هذه اللحظة هبّت ريح أغلقت الباب بعنف شديد، ولكن الطفلة لم تتحرك وظلت تبكي في صمت، وصرختُ بأعلى صوتي ولم تتحرك، لقد أصيبت الصغيرة بالصّمم والبكم، لقد عملت الحمى القرمزية عملها، وأصبحت اليزابيث الصغيرة صمّاء لا تسمع شيئًا وبكماء لا تنطق بكلمةٍ، فجريت نحوها واحتضنتها بين ذراعي وأخذت أبكي وأنا أطلب من الله أن يغفر لي قسوتي ولكني لم أغفر لنفسي أبدًا هذه القسوة ..

هنا نجد أن شخصية «مارك توين» الأب تظهر رغمًا عنه من خلال شخصية «جيم» ومحاولة لجلد الذات وتوبيخها من أجل صغيرته. ونحن نعلم من خلال قصته أن ابنته كانت مريضة وعانت من آلام المرض حتى الموت.

ونجد «هكلبري وتوم» يتحدثان عن الطريقة التي يستطيعان أن يُهرِّبا بها جيم، ولكن لا تخلو من فكاهة وطرافة فنجد أن توم يقُصّ على هك فن كيف هرب أحد السجناء

«جميع المساجين قد استخدموا السكاكين في حفر أنفاقهم .. كانوا يحفرون بالسكاكين ليس في التربة الترابية الهشّة فقط، بل وفي الصخور الصلدة أيضًا وكان هذا العمل يستغرق في العادة فترات طويلة جدًّا هناك مثلًا ذلك السجين الذي كان محبوسًا في قلعة دي ايف بميناء مارسيليا بفرنسا .. لقد حفر لنفسه نفقًا هرب منه.. هل تدري ما هو الزمن الذي استغرقه حفر هذا النفق.. ؟

- لا أدري.. ربما استغرق شهرًا أو شهرًا ونصف ..
- هه.. لقد قضى هذا السجين سبعةً وثلاثين عامًا، انتهى من حفر النفق الذي امتد من فرنسا حتى الصين!هذه هى الطريقة المُثلى لحفر الأنفاق التي يهرب منها المساجين.
- لنفرض.. ولكن «جيم» لا يعرف أحدًا في الصين..
- وهل تظن أن السجين الفرنسي، كان يعرف في الصين أحدًا؟ هذا لا يهم..
- وهو كذلك يا توم .. ولكني أرجوك أن تتذكر أن «جيم» رجل عجوز .. ولا يمكنه البقاء حيًّا، حتى ننتهي من حفر النفق بالسكاكين بعد سبعة وثلاثين عامًا ليخرج بعد ذلك حرًّا في الصين.»

إذا أمعنا النظر في طريقة كتابته نجده لا يترك القارئ يشعر بالملل، فهو دائمًا يعرض لنا ما يدعو للطرافة والفكاهة، المهم أن يترك البسمة على شفاه القارئ، وهى ابتسامة طبيعية لا تكلف ولا صنعة فيها، لذلك رأى مركز «كينيدي» للفكاهة في أميركا أن تكون هناك جائزة للفكاهة باسم «مارك توين» الأديب الذي كان علمًا بارزًا في عالم الفكاهة الأميريكي وناقد وساخر اجتماعي لاذع، وكانت الغاية من هذه الجائزة هي منحها لذلك الفنان الفكاهي الذي

يعمل وحيدًا، ويشكّل مادة سخريته من نفسه ومن ملاحظاته الفريدة وتجاربه في العالم من حوله. الفنان الذي يضحكنا ويذكّرنا بنفس الوقت بعيوبنا. تأتي من خلال سرد الحديث وتطوّر أحداث الرواية.

ويظل الكاتب في سرده عن تلك المغامرات، من أجل أن يسترد «جيم» حرّيته ويظهر في النهاية أن مُسز واطسون أنّبت نفسها لأنها فكرت في بيعه، فأعتقته قبل أن تموت بشهرين، وأخيرًا أصبح «جيم» حرًّا ويستعِدّ هكلبري فن وتوم لمغامرة جديدة مع ذوي البشرة الحمراء. ولكني بعد هذه القراءة المتعمّقة لرواية هكلبري فن أجدها تصلح لمسرحية؛ فكل عناصر الكتابة المسرحية متوفرة بها ولا أدري لماذا لم يفكر «مارك توين» في سردها بشكلٍ مسرحي؟

حيث نجد أن الحوار يحتل مساحة كبيرة وسط السرد، علاوة على أنها نواة لمسرحية بكل أحداثها ومواقفها.

بالرغم من ذلك كتب «مارك توين» مسرحية الأمير والفقير تتحدث عن طفلين أحدهما أمير والآخر متسوّل فقير، قررا أن يستبدلا ملابسهما وأن يتبادلا الأدوار، حيث أصبح الأمير هو الفقير والفقير أصبح هو الأمير، ويكتشف الأمير بعد معايشته للفقراء القهر والجوع الذي يعيشونه، والظلم الذي أوقعه والده الملك على شعبه، ويكتشف الفقير أن حياة القصور ليست دائما سعيدة .

الحرية عند مارك توين وغيره

كتبت «فاطمة الفلاحي» عن الحرية مبينة آراء الكتّاب والسياسيين، ويتجلّى لنا اهتمام «مارك توين» بحرية الإنسان من خلال روايته هكلبري فن ومشكلة العبد الهارب «جيم»، ويرمي إلى أن الأنسان خُلِق حُرًّا .

«إننا مُدانون بأن نكون أحرارًا».

فالحرية حقٌّ من الحقوق الأساسية لبناء الإنسان بناءً سليمًا وقويًّا، ولكننا نجد أُولى أولوياتها الحداثة إلغاء تلك الحرِّيّات والحقوق وقمع كل من يطالب بها، وسحق مواطنته، ونكران إنسانيته.

وأمّا أوطاننا في سالف العصر والزّمان، نجد أن حمورابي سعى لإقامة عدالة لمنع الأقوياء من ظلم الضعفاء، وبالنتيجة فالحرّية هي حالة التحرّر من القيود، التي تُكبِّل طاقات الإنسان وإنتاجه، سواء كانت قيودًا مادية أو قيودًا معنوية، والتحرّك ضمن القوانين الطبيعية، وإمكانية إتخاذ القرارات الشخصيّة والقرارات بشأن الملكيّة الخاصة بدون قيود، كما يريد الإنسان وبدون أن يطلب هذا الإنسان الحق من أحد، وبدون التبعيّة لإرادات الغير أيضًا، والسبب الوحيد الذي يجعل الإنسانية أو جزءًا منها تتدخل في حريةِ أو تصرُّفِ أحد أعضائها هو حماية النفس فقط، وإن السببَ الوحيدَ الذي يُعطي الحقَّ لمجتمع حضاري في التدخل في إرادة عضوٍ من أعضائه هو حماية الآخرين من أضرار ذلك التصرّف.أما الإرادة الحرّة تعني قدرة الإنسان على اختيار وتعيين حياته الخاصة ورسمها كما يريد.

- **وللحرية أنواع**

١- الحرية الفردية.

٢- الحرية الجماعية.

٣- الحرية الخارجية.

٤- الحرية الداخلية.

إذن، من خلال مفهوم الحرية أعلاه، ماهي إلا جمعية انصهار واندماج دون قيد أو ضغط. دعونا نرى مالنا من فكر يكتنزه الورق مع المفكرين والسياسيين والأدباء والفقهاء.

- صحيح أن الحرية قيمة، إنها قيمة لدرجة أنه يجب تخصيصها. «فلاديمير لينين»
- لن يشبع الجماهير الجائعة أي قدر من الحرية السياسية. «فلاديمير لينين».
- إذا وجدتَ دولة لا يمكن أن تجد حرية، أما إذا وجدت حرية فلن تجد دولة. «فلاديمير لينين».
- الحرية الوحيدة المضمونة هي حرية المغادرة. «روبرت فروست شاعر أمريكي»
- الفن ابن الحرية. «فريدريش شيلر».
- ثمن الحرية هو الموت. «مالكوم إكس».
- إن الحرية أمانة ومسؤولية. «محمد بن راشد آل مكتوم».
- الوعي والحرّية شيء واحد. «كمال جنبلاط» «مفكّر وفيلسوف وسياسي لبناني».
- الحرية غير ذات قيمة إذا لم تشمل حرية ارتكاب الأخطاء. «المهاتما غاندي».
- التعليم مفتاح باب الحرية الذهبي. «توماس جفرسون».
- المطابقة سَجَّانة الحرية وعدوة النمو. «جون كنيدي».
- طريق الحرية أفضل طريق للتقدم. «جون كنيدي».

- إن الديمقراطية هي الحرية السياسية، والاشتراكية هي الحرية الاجتماعية، ولا يمكن الفصل بين الاثنين؛ إنهما جناحا الحرية الحقيقية. «جمال عبد الناصر رئيس مصري سابق».
- نادرًا ما تُفقَد حرية ما دفعة واحدة. «ديفيد هيوم».
- الحرية تعني المسؤولية، ولهذا يخافها معظم الناس. «جورج برنارد شو».
- التعليم يحمي الحرية أفضل من جيشٍ مرابط. «إدوارد إفرت».
- ليست الحرية سوى فرصة ليكون المرء أفضل. «ألبير كامو».
- الله الذي وهبنا الحياة وهبنا الحرية أيضا. «توماس جفرسون». «الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأميريكي».
- الحرية الزائدة عن الحد تفسدنا جميعًا. «تيرنس».
- الحرب سلام؛ والحرية عبودية؛ والجهل قوة. «جورج أورويل».
- تكمن الحرية في تحلي المرء بالشجاعة. «روبرت فروست».
- إن ناسبك المجتمع تسمي ذلك حرية. «روبرت فروست».
- الإجبار يقيد المرء، أما الحرية فتأسره. «رونالد ريغان». «الرئيس الأربعون للولايات المتحدة الأميريكي».
- الحرية أحد أعمق وأنبل مطامح الروح البشرية. «رونالد ريغان».
- السلطة المركزة كانت دائمًا عدوة الحرية. «رونالد ريغان».
- لا توجد الحرية إلا مع القوة. «فريدريش شيلر».
- نريد الحرية والعدل والمساواة بأية طريقة كانت. «مالكوم إكس».
- حرية الرأي تفترض أن لديك رأيًا. «هاينرش هاينه».شاعر ألماني
- الحرية كلمة حلوة إنسانية للبشرية جمعاء. «كاظم الموسوي».

- إنّ حرية الرأي هي المقدمة الأولى للديمقراطية «جمال عبد الناصر».
- ليس في قضية الحرية حل وسط. «محمد بن عبد الكريم الخطابي».
- الحرية حق مشاع لبني الإنسان، وغاصبها مجرم. «محمد بن عبد الكريم الخطابي».
- الأمل هو دليل الحياة، والطريق إلى الحرية. «مصطفى كامل زعيم سياسي مصري».
- لا أعرف إلا نوعًا واحدًا من الحرية، ألا وهي حرية العقل. «أنطوان دو سانت إيكسوبيري».
- الحرية دون تعليم في خطر دائم، أما التعليم دون حرية فيذهب سدى. «جون كنيدي».
- لا يريد معظم الناس الحرية حقًا؛ لأن الحرية تتطلب مسؤولية ومعظم الناس يخافون من المسؤولية. «سيجموند فرويد».
- ليست حرية الفرد من منح الحضارة، فهذه الحرية كانت في أقصى درجاتها قبل نشوء أية حضارة. «سيغموند فرويد».
- أنا أحكي عن الحرية التي لا مقابل لها، الحرية التي هي نفسها المقابل. «غسان كنفاني» كاتب فلسطيني.
- غاية القانون ليس منع أو تقييد الحرية، بل حفظها وتوسيعها. «جون لوك».
- الحرية هي ألا يتعرض المرء للتقييد والعنف من الآخرين. «جون لوك».
- أعداء الحرية لا يجادلون، بل يصرخون ويطلقون النار. «وليم رالف إنغ».
- التطلع إلى الحرية أكثر مظاهر الإنسانية التصاقًا بالإنسانية. «إريك هوفر كاتب اجتماعي أميركي».
- أنا لا أطلب غير الحرية، أن أكون حرًا كالفراش. «تشارلز ديكنز».

- بحر الحرية العاصف لا يخلو أبدًا من الأمواج. «توماس جفرسون».
- نحن مع الحرية، فهذا إيماننا الراسخ والتزامنا الوحيد تجاه الآخرين. «جون كنيدي».
- الحرية هي الأكسجين الذي لا يمكن للعلم التنفس بدونه. «دافيد سارنوف».
- الشعب الذي له حرية الاختيار سيختار السلام دائمًا. «رونالد ريغان». الرئيس الأربعون للولايات المتحدة الأميريكي.
- كل النظريات ضد حرية الإرادة، أما الخبرات فمعها. «صمويل جونسون».
- لا يمكن أن تكتسب الحرية إلا عن طريق التعليم. «فريدريش شيلر».
- المدينة العظمى هي التي يسود فيها العلم والحرية والإخاء والوفاء. «ميخائيل نعيمة» شاعر وكاتب لبناني.
- الحرية هبة من فوق لا غنيمة من أسفل. «ميخائيل نعيمة».
- الحاكم علَّمنا درسًا .. أن الحرية لا تهدى .. بل تستجدى! «أحمد مطر».
- مقدار من الجنون لابد منه من أجل مقدار من الحرية. «محمود المسعدي».
- لقد منّ الله علينا بثلاثة في هذا البلد: حرية التعبير، وحرية التفكير، والمقدرة على عدم تطبيق أي منهما. «مارك توين».
- الحرية هي حرية أن يقول المرء إن اثنين زائد اثنين يساوي أربعة، وإن كان ذلك مسلّم به فكل شيء بعد ذلك متاح. «جورج أورويل كاتب إنجليزي».
- القليل جدًا من الحرية يجلب الركود، والكثير جدًا منها يجلب الفوضى. «برتراند راسل».

- يمكن تعريف الحرية بصفة عامة على أنها غياب ما يعيق تحقيق الرغبات. «برتراند راسل».
- يكذب من يدّعي أن الحرية تسود هنا، فالحرية لا تسود أحدًا. «إريش فريد».
- عندما يمتلك الناس حرية فعل ما يريدون، فعادة ما يقلّدون بعضهم البعض. «إريك هوفر».
- بسبب هاجس الانسجام، توجد في أميركا حرية الاختيار، لكن ليس أمام المرء ما يختار منه. «بيتر أوستينوف ممثل وكاتب إنجليزي».
- ليست الحرية أن تختار بين الأسود والأبيض، بل أن تبتعد عن الاختيارات المحددة مُسبقًا «تيودور أدورنو».
- أعتقد أحيانًا أن ثمن الحرية ليس اليقظة الدائمة، بل الوحل الدائم. «جورج أورويل».
- يجب أن يكون للديمقراطية نظامها وضوابطها، لكن تنفسها الحيوي هو حرية الفرد. «تشارلز إيفانز هيوز».
- إذا لم تكن على استعداد للموت في سبيل الحرية، فعليك أن تشطبها من قاموسك. «مالكوم إكس».
- الحرية هي ذلك التاج الذي يضعه الإنسان على رأسه ليصبح جديرًا بإنسانيته. «نجيب محفوظ كاتب روائي مصري».
- الحرية لا يمكن أن تعطى على جرعات، فالمرء إما أن يكون حرًّا أو لا يكون حرًّا. «نيلسون مانديلا».

- لا أرى في هذا الوجود إلا الحرية، وكل ما سواها باطل. «محمد بن عبد الكريم الخطابي».
- انتصار الاستعمار ولو في أقصى الأرض هزيمة لنا، وانتصار الحرية في أي مكان هو انتصار لنا. «محمد بن عبد الكريم الخطابي».
- يعيش البشر أقصى درجات الحرية، عندما لا يحسون بها، فالصياح هو دائمًا صليل القيود. «ديفيد هربرت لورانس».
- إن تحقيق الازدهار يتطلب تحرير الإعلام من القيود والقوانين والممارسات لينطلق بمزيدٍ من الحرية والاستقلالية والإبداع. «محمد بن راشد آل مكتوم سياسي إماراتي وحاكم إمارة دبي».
- إننا نحبّ الحياة لأننا نحبّ الحريّة، ونحبّ الموت متى كان الموت طريقًا إلى الحياة. «أنطون سعادة».
- علينا أن نخطط للحرية وليس للأمن فقط، وذلك على الأقل لأن الحرية هي الشيء الوحيد الذي يجعل الأمن آمنا. «كارل بوبر».
- لا يمكنك فصل السلام عن الحرية، لأنه لا يمكن لأحد أن يكون مسالمًا ما لم يكن حرًا. «مالكوم إكس».
- اللهم أعطنا القوة لندرك أن الخائفين، لا يصنعون الحرية، والضعفاء لا يخلقون الكرامة، والمترددين لن تقوى... «جمال عبد الناصر».
- إن مصر لتقدر النضال فى سبيل الحرية والاستقلال، وتعرف أقدار المناضلين والأحرار، لأنها طالما كافحت على ... «محمد أنور السادات».

- حرية الفرد لا تكمن في أنه يستطيع أن يفعل ما يريد، بل في أنه لا يجب عليه أن يفعل ما لا يريد. «جان جاك روسو».
- لا يستطيع أحد أن يمنحك الحرية، ولا يستطيع أحد أن يمنحك المساواة أو العدالة أو أي شيء آخر... «مالكوم إكس».
- أتيت إلى هنا حاملًا غصن الزيتون بيد وبندقية المقاتل من أجل الحرية في الأخرى، فلا تدعوا غصن الزيتون يتبس... «ياسر عرفات».
- الذاكرة لعنة الإنسان المشتهاة ولعبته الخطيرة، إذ بمقدار ما تتيح له سفرًا نحو الحرية فإنها تصبح سجنه، وفي هذا السفر الدائم يعيد تشكيل العالم والرغبات والأوهام. «عبد الرحمن منيف أديب وروائي سعودي».
- الحرية الوحيدة التي تستحق هذا الاسم هي حريتنا في السعى وراء مصالحنا الخاصة بطريقتنا الخاصة طالما كنا ... «جون ستيوارت ميل».
- إن حرية الفكر حركة داخل الإنسان، ولكن إذا خرجت الفكرة إلى العالم الخارجى وتجاوزت مرحلة الاعتقاد إلى ... «محمد أنور السادات».
- الصغار الذين يواجهون الدبابة في فلسطين، يفعلون عملًا جنونيًّا .يختارون لحظة مطلقة من المعنى والقدرة. «رضوى عاشور».

مذكرات مارك توين تظهر إلى حيّز الوجود



نشرت شبكة الإعلام العربية من نيويورك، بأنه عُثر على مذكرات جديدة للكاتب الأميركي «مارك توين» تلقي الضوء على حياته الخاصة، متضمّنة من بين وقائع أخرى نعيه المؤثر لابنته البكر المفضلة «سوزي كليمنس» التي توفيت بعد اصابتها بمرض الحمى الشوكية «التهاب السحايا» في عام ١٨٩٦ عن ٢٤ عامًا.

وبحسب جريدة «الدستور» الأردنية ، فقد ذكرت صحيفة «الديلي تلغراف» أن المذكرات ستكون من بين ٢٠٠ مخطوطة ورسالة وصورة، من المقرر أن تُباع في دار «سوثبي» للمزاد في نيويورك .

كما تتضمّن المجموعة رسالة من القلب سطّر فيها توين تسع صفحات إلى «جيرفس لانغدون»، والد حبيبته قبل أن يتزوجها، يصرّ فيها على أنه سيكون زوجًا رائعًا.

يُقدر أن تُباع هذه الرسالة بـ٣٠ الى ٥٠ ألف دولار، ومذكراته في «تخطيط عائلي» مقابل ١٢٠ إلى ١٨٠ ألف دولار. وتقدر دار «سوثبي» أن المجموعة كلها يمكن أن تحقق ١٢ مليون دولار. وتُعرض مخطوطات توين للبيع عائلة «جيمس اس. كوبلي» الذي كان قبل وفاته مدير مؤسسة إعلامية وأنشأ مكتبة من المخطوطات التاريخية. ومن بين الجهات التي ستحاول شراء المخطوطات في المزاد جامعة كاليفورنيا التي لديها أكبر أرشيف من المواد ذات العلاقة بمارك توين.

ألف وجه لألف عام (جان دارك كما رآها مارك توين)
«بطلة عذراء جديرة بالاحترام»

نعرف طبعًا، أن ثمّة عشرات الكتب التاريخية والمسرحيات والروايات، ومئات قصائد الشعر كرّست دائمًا - في فرنسا، ولكن أيضًا في مناسبات عديدة، خارج فرنسا- للحديث عن «جان دارك»، البطلة الفرنسية التي تصارعت مع الإنكليز، في الأزمان القديمة فهزمتهم حينًا، ثم انتهى بها الأمر الى الوقوع في شباكهم وشباك حلفائهم من الفرنسيين، وحوكمت وأُحرقت. ونعرف أن سيرة «جان دارك»، إذا كانت بدت طيبة وبطولية في معظم الأعمال، فإن الإنكليز بالتحديد والأنغلوساكسون في شكل عام لم يفتهم أن يسخروا منها. وحسبنا في هذا السياق أن نقرأ مسرحية «جورج برنارد شو»، لنجدنا أمام مثل هذه الوضعية: بطلة فرنسية مقدّسة، يتعامل معها القلم الإنكليزي بلؤم وتهكّم. وهو أمرٌ لم يُمارسه حتى «برتولد بريخت»، الذي حين كتب عن «جان دارك»، حاول أن يعقل حتى الخرافات التي حيكت انطلاقًا من سيرتها. أمّا الدعم الأنغلوساكسوني الذي نالته «جان دارك»، ومن حيث ما كان في إمكان أحد أن يتوقع، فقد جاءها، من آخر مكان كان يمكن أن تكون ذات حظوة لديه من سيّد الكتّاب الأميركيين الساخرين «مارك توين». فهذا الأديب المبدع الذي كان من الصعب أن تمرّ بين يديه سيرة شخص ما، إلا وتتحول الى سيرة ضاحكة ساخرة، حين أراد أن يكتب عن جان دارك... غيّر اتجاهه تمامًا، فكتب عنها باحترام قلّ نظيره. ومن دون أن يضيف شيئًا إلى سيرتها المعروفة، أو يحذف منها شيئًا. الجديد لديه كان أسلوبه اللطيف في الكتابة عنها، وتحديدًا على الضدِّ من الإنكليز الذين لم يوفر لومًا يلقيه عليهم في مجال الحديث عن محاكمتهم لها. غير أن اللافت في هذا كله هو أن مارك توين لم يستخدم، كما فعل وسيفعل غيره من

الكتّاب، جان دارك لمجرد النكاية بالإنكليز.. بل لتمجيدها والتأكيد حتى على الجوانب الأكثر أسطورية في حياتها ونضالاتها المرويّة.

بيد أن علينا هنا حين نقول هذا كله، أن نتنبه بعض الشيء إلى الظرف الخاص الذي كتب فيه «مارك توين» هذا النص. وهو نص كان من آخر ما أصدر قبل رحيله، حتى وإن كانت كتابته، كما قال بنفسه، قد استغرقته بين ١٢ و١٥ سنة. فالواقع أن «مارك توين» قبل تلك السنوات الأخيرة من حياته مباشرة، كان غالبًا ما يتعرض إلى هجمات صحافية وأدبية تأخذ عليه كونه احتقر الناس أجمعين، ولاسيما الذين كتب عنهم، إذ كانوا في الأصل أشخاصًا حقيقيين. فهو لم يكن يوقِّر أحدًا، وبالكاد يجد شيئًا إيجابيًا يتحدّث عنه لدى أي شخص من الأشخاص، فقط الشخصيات التي كان يبتكرها كانت محترمة وذات قيمة لديه. ومن هنا إذ اشتدت عليه الحملات جرّاء ذلك قرّر كما يبدو، إذ يقول: «أبدًا... حين يكون لدي موضوع يستحق الثناء والاحترام ستجدونني غير متردد في تناوله في شكل جدّي ومحترم... وهذا هو الدليل». والدليل هنا طبعًا هذا النص، الذي -حتى من قبل أن يبدأ توين كتابته- قال عنه لأصدقائه: «سأكتب عن عذراء أورليان نصًّا في منتهى الجمال والجدّيّة... نصًّا يشغل في القلب والفكر في هذه الأيام». وحين قال توين هذا الكلام كان يمضي فترة من الوقت في مدينة فلورنسا الإيطالية، مستمتعًا بأجوائها الفنّيّة الرائعة، وكذلك -كما سيقول بنفسه- بهالتها الدينية العظيمة، لكنه في فلورنسا لم يفعل أكثر من كتابة الصفحات الأولى. ثم تابع الكتابة بعد ذلك في باريس التي أقام فيها فترة من الزمن. وما انتهى من وضع الكتاب إلا بعد ذلك بسنوات، أي في عام ١٨٩٥، حين كان قد عاد إلى الولايات المتحدة الأميركية. وهناك راح ينشر النصّ على حلقات شهرية في «هاربرز ماغازين» (بين كانون الثاني/ يناير - ونيسان / أبريل من ذلك العام)... ولعل اللافت هنا هو أن الحلقات نُشرت بدون اسم

المؤلف، ومع عنوان طويل جدًا، لفت الأنظار وأثار الكثير من التساؤلات. والعنوان في ترجمته العربية هو: «ذكريات شخصية حول جان دارك، كتبها السيد لويس دي كونديه (وصيف جان دارك ورفيقها وسكرتيرها) ترجمت بتصرف من اللغة الفرنسية القديمة إلى الإنكليزية الحديثة، انطلاقًا من مخطوطة غير منشورة تم العثور عليها في المحفوظات الوطنية الفرنسية والترجمة من صنع كين فرانسوا آلن.

وتألّف النص إذًا من ثلاثة أقسام، من الواضح أن «مارك توين» كتبها من أَلِفها إلى يائِها، وغالبًا من الذاكرة من دون أي اعتماد على أية مراجع، باستثناء بعض الفصول التاريخية. وهو أعطى للقسم الأول عنوان «دومريمي»، فيما جعل عنوان القسم الثاني «في البلاط وفي المعسكرات»، أما القسم الثالث حمل منطقيًّا عنوان «المحاكمة والموت». ومنذ صدور النص سيفضّل النقاد - وعامة القرّاء أيضًا القسم الثالث، والذي من الواضح أن مارك توين وضع فيه الكثير من ذاته، وأراده أن يكون واحدًا من آخر النصوص التي يكتبها. ولقد كانت الحال هكذا بالفعل. حتى وإن كان مارك توين عاش سنوات طويلة بعد صدور هذا الكتاب، وحتى وإن كان أصدر خلال تلك السنوات عددًا كبيرًا من الدراسات والقصص فإن صاحب «توم سوير» و «هكلبري فن»، لم يصدر أي عمل أكبر وأهم من «جان دارك» النص الذي اعتبره «مؤلَّف حياته» وعمله الأكبر في مجال الأدب الروائي - ذلك أن هذا النص يشكّل في نهاية الأمر رواية حقيقية. لكن ما يتعين قوله هنا هو أنهم لم يكونوا كثرًا أولئك الذين وافقوا مارك توين على رأيه في هذا النص. ذلك أنه -أي النص- ظلّ، وربما لا يزال حتى الآن العمل الأكثر إثارة للاهتمام بين عشرات الكتب والنصوص التي كتبها، بل إن كثيرًا -حتى من بين قرّاء مارك توين الأكثر حماسة لأدبه- يجهلون وجود هذا الكتاب، الذي -على أية حال- لم يحمل توقيع «مارك توين» إلا لاحقًا. وحين صدر للمرّة الأولى بتوقيعه

دُهِش أكثر القراء من أين لمارك توين كل هذا الإيمان؟ من أين له هذا الاحترام للبشر وللتاريخ؟

مهما يكن من أمر، نعود هنا إلى الكتاب نفسه لنذكر أن «مارك توين»، إذ آثر يوم كتابته - أو بالأحرى خلال سنوات كتابته الطويلة- أن يصوغه على شكل رواية، فما هذا إلا لأنه كان يريد له في الأصل أن ينتشر وأن يصل إلى أكبر عدد ممكن من القُرّاء، وهو مدرك أنه لن يصل إذا ما كُتب على شكل دراسة تاريخية، ولن يكون في مقدوره أن يضيف شيئًا إن هو ظهر على شكل مسرحية أو أوبرا. وطبعًا، في ذلك الحين لم تكن السينما ظهرت بعد، وعلى الأقل كوسيلة توصّل الحكايات والأفكار، وإلا لكان من المؤكد أن «مارك توين» كان سعى لأن تكون مساهمته في الفن الجديد، عملًا عن «جان دارك»، التي يبدو أنها ظلّت تشغل باله طوال السنوات الأخيرة من حياته. وظلّت لديه، تشكّل استثناءً بين أبطال التاريخ وأهله، إذ إن هذا الكاتب الساخر، وبعد أن انتهى من «جان دارك» وقدم لها حصتها من احترامه عاد يسخر من شخصيات تاريخية سياسية وأدبية مثل: (شكسبير أو الملك البلجيكي ليوبولد... إلخ)، مؤكدًا في طريقه أنه يحترم من هو جدير باحترامه، ويتهكّم على من يراه جديرًا حقًا بذلك التهكم...

وفي غالبية كُتبه -قبل «جان دارك» وبعدها- ظل مارك توين من كبار المتهكمين في تاريخ الأدب، هو الأديب والشاعر والروائي والباحث والقاصّ، والصحافي وصاحب النصوص الرائعة في أدب الرحلات ومنه كتابه الشهير «رحلة الأبرياء»، الذي نجد فيه ذكرًا طريفًا للبنان وسورية وفلسطين، وتهكّمًا على الشعب الفرنسي، مع إشارات إلى عدم إيمان هذا الشعب بالنظافة على رغم أن مدينة مرسيليا هي مركز صناعة الصابون في العالم.

قصة مارك توين العجيبة مع المذنب هالي

في هذا اليوم شاهد سكّان الأرض ظاهرة كونية، لم تتكرر في القرن العشرين الذين عاشوا فيه. إنه مذنّب هالي الذي كان مساء هذا اليوم أقرب ما يكون إلى الأرض، وهو كوكب يزور الأرض مرة كل ٧٦ سنة تقريبًا. لاحظ الفلكي البريطاني «ادموند هالي» أن المذنب سيظهر عام ١٧٥٨ وأسرّ بذلك إلى صديقه نيوتن، لكن المذنّب الذي ظهر بالفعل عام ١٧٥٨ لم يكن هالي حاضرًا عندما عاد المذنب من جديد، فقد توفي قبل ذلك بست سنوات، فأطلق على هذا المذنّب اسم هالي وفاءً لادموند هالي الذي قدّم هذا الكشف الفلكي.

كان العالم الإنجليزي «ادموند هالي» مُغرمًا برصد المذنّبات ودراستها، ومن حُسن حظّه أنه عاصر المذنّب الذي ظهر عام١٦٨٢ وعرف لاحقًا باسمه، وبعد الرجوع إلى السجلّات الفلكية أصبح على قناعة بأنّ المذنّب الذي شاهده هو نفسه الذي ظهر أيضًا في عامي ١٥٣٠ و ١٦٠٦ .ولأن الفرق بين التواريخ الثلاثة يبلغ ٧٦عامًا و١٠ أيام توقّع هالي ظهوره مجددًا في الأعوام ١٧٥٨ و١٨٣٤ و١٩١٠ و١٩٨٦ والتاريخ الأخير هو آخر مرة شوهد فيها قبل عودته التالية عام٢٠٦٢ ورغم أن هالي توفي قبل ظهوره مجدّدًا إلّا أن توقّعاته كانت في محلّها وظهر المذنب بعد ٧٦ عامًا بالضبط (فأطلق عليه مذنب هالي تكريمًا له).

وقصة «مارك توين» مع المذنّب هالي قصة عجيبة وغريبة؛ فقد ولد في عام ١٨٣٥م وصادف ظهور المذنب هالي وعُرِف هو ذلك وعاش يتمنّى رؤيته مرة أخرى ومن المفارقات العجيبة والغريبة يظهر المذنب هالي في ٢٠ أبريل عام ١٩١٠ ويموت «مارك توين» في نفس الليلة التي رآه فيها وكأنه على موعد مع المذنب هالي.. ماتِ هذا الأديب الساخر العظيم الذي حقق شهرة عالمية للأدب الأميركي.. وبالرغم من مرور مائة عام على وفاته فما زال القرّاء ومحبو الأدب يُقبلون على قراءة الأعمال الأدبية الخالدة التي كتبها أثناء حياته المَرِحة المُحزنة ..

وهو ذلك المذنب الذي شقّ السماء ليلة ولادته و بشكلٍ ما كان توين يتوقع ويرجو أن يمتد به الأجل حتى يراه مرّة ثانية وأخيرة، وفي عام ١٩١٠ توفي توين بعد ما رأى في نفس الليلة مذنّب هالي يشقّ السماء.

أدباء قرأوا نعيهم

عدد كبير من المشاهير قرأوا نعيهم في الصحف، وكان ذلك سبب الخطأ؛ فألفريد نوبل صاحب الجائزة الشهيرة قرأ نعيه، وأزعجه ذلك، مع أن الذي توفى كان أخاه، وكذلك الأديب الأميركي «مارك توين» والفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل، وطه حسين ويقول أنيس منصور لقد كتبت النعي مع الأسف الشديد.

ففي إحدى الليالي وفي ساعة متأخرة اتصل بي نائب رئيس تحرير«الأخبار» المصرية وقال لي: البقية في حياتك، طه حسين مات وأرجو أن تكتب لنا فورًا أو تقول في التليفزيون شيئًا عن الفقيد، وسألني:

- متى ولد؟
- قلت: ١٨٨٩ م مع العقاد والمازني وعبد الرحمن الرافعي وهتلر ونهرو وشارلي شابلن ثلاثة فلاسفة وجوديين: هيدجر الألماني، ومارسل الفرنسي وفنجتشين النمساوي.
- مالذي يبقي منه:
- لا أعرف بالضبط، ولكن أعماله الأدبية سوف تبقى
- كم من الزمن؟
- لا أعرف؟
- أهم صفاته الأدبية:

- أنه ناقد جريء، وعباراته جميلة، فالثلاثة الكبار كل واحد له صفة؛ فالعقاد هو المفكر وطه حسين هو الأديب وتوفيق الحكيم هو الفنّان، وثلاثتهم كتبوا عن محمد ﷺ، فالعقاد وضع خطّة خريطة للسيرة النبوية، يتحرك في داخلها وطه حسين استمع واستمتع ونسج الحكيم ثوبًا من الأحاديث النبوية، أو بعبارة أخرى: العقاد يقف أمام التاريخ ويشدّه وراءه وطه حسين يمشي إلى جواره ويساره وتوفيق الحكيم يمشي إلى يساره.
- سوف يدخلون الجنة؟
- الله أعلم ؟
- البقية في حياتك.
- حياتك الباقية.

ولم يمت طه حسين، وفي ساعة مبكّرة اتصلتُ بالسيد فريد شحاته، سكرتير طه حسين أرجوك وأتوسل إليك ألا تقرأ هذا المقال لأستاذنا الكبير، إنها غلطة فمن عادة أن تسبق الأحداث خشية أن تسبقها صحف أخرى.. أرجوك، وبعد ساعة كلمني فريد شحاته وهو يضحك قال لي:

- الدكتور قرأ مقالك وضحك.
- وأحزنني طويلا.

تروي «أحلام مستغانمي» الروائية الجزائرية أنها تذكرت حضرت أُمسية شعرية في بيروت للشاعرة العراقية الكبيرة لميعة عباس عمارة، المقيمة في أميركا، والتي برغم ما عُرف عنها من خفّة الدم وروح الدُّعابة لم تستطع إخفاء مرارتها، وهي تبدأ أمسيتها قائلة:

"إنني أتحدث إليكم من الآخرة، فلقد بلغني البارحة من شخص عراقي، ثم من آخر كويتي، أنني متّ. عكس ما ترون هذه القصائد تأتيكم من العالم الآخر".. لميعة الكبيرة.. الشامخة.. المتعفّفة عن فتات الموائد والولائم الشعرية المشبوهة، عندما لم يستطيعوا إذلالها، قتلوها بإشاعة من قنّاص مجهول، أطلق النار على ضحكتها فأبكاها.

وقبلها قرأنا عن «فضيحة» قتل نازك الملائكة، لا في مجلس أدبي، ولا في مقال صحفي، وإنما في مؤَّلف رسمي وقّعه خمسة تربويين هو كتاب «القراءة العربية» وإن كانت نازك الملائكة قد توقّفت عن الإبداع، فإن أخبار مرضها ما زالت تأتينا بين الحين والآخر في الجرائد. والأغرب من كلّ هذا، ليس الخطأ الذي وقَع فيه أساتذة وباحثون بقتلهم شاعرة على قيد الحياة، وإنما اختيارهم سنة١٩٩٣ عامًا لوفاتها.

وهو ما يُذكّرني بقصة همنغواي، الذي سنة ١٩٥٤، أي قبل ٧ سنوات من موته الفعلي، كان في رحلة صيد في أفريقيا، عندما سقطت طائرته في الأدغال. وبعدما استطاع بعد أيام الخروج من الغابة مجروحًا وممزق الثياب، توجّه إلى أقرب مدينة. وإذا به وهو يبتاع جريدة يقرأ على الصفحة الأولى، خبر موته في حادث تحطم طائرة، ما جعله، وهو المضطرب عصبيًا، يعتقد للحظة أنه مات حقًا، ناسيًا أنه مازال حيًا ما دام يقرأ خبر نعيه وقبل ذلك بسنوات، كان «مارك توين» قد خبُرَ الصدمة نفسها وهو يقرأ خبر نعيه. لكنه ولاختلاف مزاجه عن مزاج همنغواي، وجد في ذلك فرصة للسخرية وإطلاق طرفة جديدة، فأبرق إلى الصحيفة، التي نشرت الخبر بهذه الرسالة الموجزة: «خبر موتي مُبالغ فيه بشدّة» وعلى حد قول أحلام مستغانمي « ما الإشاعات سوى رصاصات بيضاء..دون كاتم صوت فالمقصود منها هو الدويّ الذي تحدثه، والذي يراهن قنّاصة الظلام على أنه قادر على قتل أُناس أكبر من أن يستطيعوا قتلهم برصاص حقيقي».



الأدب الأمريكي

يشير الأدب الأميركي إلى الأعمال المكتوبة أو الأدبية، التي تم كتابتها في منطقة أميركا الاستعمارية. كانت أميركا في مطلع التاريخ عبارة عن مجموعة من المستعمرات البريطانية على طول الساحل الشرقي لما تُسمى اليوم بالولايات المتحدة الأميركية. وبالتالي يرتبط تراث الأدب الأميركي بتراث الأدب الإنجليزي. ومع ذلك فالخواص المميزة للأدب الأميريكي والإنتاج الكبير الخاص به جعل له طريقًا مختلفًا.

أدب الاستعمار

خلال فترة ما بعد الاستقلال، عرضت المقالات التي تحدثت عن الفيدرالية للكتّاب: أليكسندر هاملتون، وجيمس ماديسون، وجون جاي مناقشةً تاريخيةً هامة عن منظمة الحكومة الأميركي والقيم الجمهورية. تؤكد كتابات توماس جفرسون مثل إعلان استقلال الولايات المتحدة، وتأثيره على الدستور الأميركي، وسيرته الذاتية، وملاحظاته على ولاية فيرجينيا، وخطاباته العديدة على أنه أحد أكثر الكتّاب الأميريكيين موهبة. كما اشتهر كل من فيشر أميس، وجيمس أوتيز، وباتريك هنري بكتاباتهم وخطبهم السياسية.

لاقى كثير من الأدب المبكر للأمة الجديدة العديد من المشاكل، حتى تمكّن من إيجاد صوت أميركي مميز بين أنواع الأدب الموجودة، وانعكست هذه الحركة في الروايات. وانتقد البعض الأساليب والقوالب الأوربية واعتبروها ذات مستوًى منخفض.

الأسلوب الأميركي الفريد

ظهر العديد من الأدباء الجدد المتميزين مع زيادة الرغبة في إنتاج أدب وثقافة أميركيّة مميزة، وذلك أثناء حرب عام ١٨١٢م، ومنهم واشنطن ارفنج، ويليام كولين بريانت، جيمس فينيمور كوبر، وإدجار ألان بو. وقد كتب ارفنج، الذي يعتبر أول كاتب يبتكر أسلوب أميركي مميز، العديد من الأعمال الكوميدية مثل سلماجندى وتاريخ نيويورك لديدرك نيكر بروكر(١٨٠٩).

كما كتب «براينت» قصائد مستوحاة من الطبيعة وأخرى رومانسية، والتي كانت بعيدة تمامًا عن الأصل الأوروبي. وفي عام ١٨٣٢، بدأ بو في كتابة القصص القصيرة مثل «قناع الموت الأحمر» ، «الحفرة والبندول»، «سقوط منزل حاجب المحكمة»، و«قاتلو مشرحة الندم»، التي استكشفت مستويات نفسية الإنسان المخبأة مُسبقًا، ودفعت بحدود الفن الروائي تجاه الغموض والخيال. بالإضافة إلى ذلك اشتهرت حكايات تخزين الجلد لكاتبها ناتي بومبو والتي تضم الناجي الأخير في البلد الجديد وفي الخارج.

كما اشتهر أيضًا كتاب الكوميديا مثل سيبا سميث، وبنيامين شيلابر في إنجلترا الجديدة، بالإضافة إلى دافي كروكت، وأغسطس بالدوين لونجستريت، وجونسون هوبر، وتوماس بانجس ثورب، وجورج واشنطن هاريس الذين كتبوا عن الحدود الأميركية.

تنتمي مجموعة مثقفي الطبقة العليا في إنجلترا الجديدة إلى جامعة هارفارد ومقعدها بكمبردج، مساشوسيتس. وتضم هذه المجموعة جيمس روسل لوويل، وهنري وردزورث لونجفيلو، وأوليفر وندل هولمز.

وفى عام ١٨٦٣، نشر رالف والدو إمرسون (١٨٠٣ – ١٨٨٢) الوزير السابق عمل رعب غير روائي تحت عنوان الطبيعة، حيث زعم أنه من الممكن الوصول إلى حالة روحية مرتفعة بالاستغناء عن الدين المنظّم، وذلك عن طريق دراسة عالم الطبيعة والتفاعل معه.

لم يؤثّر عمله فقط في الكتّاب الذين تجمّعوا حوله، وكوّنوا الحركة المتعالية، ولكن تأثيره امتد إلى العامة الذين استمعوا لخطَبه. ألهم الصراع السياسي الذي أحاط بمقاومة تجارة الرقيق كتابات ويليام لويد جاريسون في ورقته «المحرر» بالإضافة إلى الشاعر جون جرينليف ويتر، وهاريت بيتشر ستوفي عملها الشهير«كوخ العم توم».

وفي عام ١٨٣٧، جمع الشاب ناتانيال هوثورن بعضًا من قصصه في «حكايات تتلى مرتين»، والذي يمتلئ بالرموز والأحداث الخفيّة. كما كتب أيضًا قصصًا مطولة تُشبه الروايات الرمزية، والتي تتحدث عن الذنوب، والفخر، وكبت المشاعر في إنجلترا الجديدة. وجائت تحفته الفنية بعنوان «الخطاب القرمزي»، والتي تحكي عن مأساة امرأة نبذها مجتمعها لأنها ارتكبت خطيئة الزنا. كان لروايات هاوثورن تأثيرًا عميقًا على صديقه هرمان ميلفيل (١٨١٩ – ١٨٩١) الذي صنع لنفسه اسمًا من خلال استغلال أيامه البحريّة وتحويلها إلى روايات إثارية عن البحار. وذهب ميلفيل إلى كتابة قصص مطولة مُفعمة بالتأملات الفلسفية، متأثّرًا بتركيز هاوثورن على الروايات الرمزية والنفسيّة المظلمة. وأصبحت رواياته المليئة بالمغامرات (موبي – ديك) التي تحكي عن رحلة لصيد الحيتان، الوسيلة لتناول موضوعات مثل: الهوس، وطبيعة الشر، وصراع الإنسان مع العناصر. وفي رواية قصيرة بعنوان «بيلي – باد»، صور ميلفيل الصراع بين ادعاءات الخدمة العسكرية والشعور بالشفقة وذلك على سطح باخرة أثناء الحرب. لم تحقق كتبه التي تتميز بالعمق مبيعات قوية، ولم يتذكّره أحد بعد وفاته. ولكن تم اكتشافه من جديد في العقود الأولى من القرن العشرين.

شكّلت الأعمال المُعادية للحركة المتعالية لكل من ميلفيل، وهاوثورن، وبو عصر الرومانسية المظلمة الذي كان مشهورا في تلك الفترة.

مارك توين والواقعية:

يعتبر «مارك توين» (الاسم المستعار لصموئيل لانجورن كليمنس(١٨٣٥ – ١٩١٠) أوّلَ كاتب أميركي يولد بعيدًا عن الساحل الشرقي – على حدود ولاية ميسوري. ومن روائعه الإقليمية: مذكرات الحياة على ضفاف الميسيسيبي، ورواية مغامرات التوت الفنلندي. وقد غيّر أسلوب توين والذي تأثّر بالصحافة، وتشبث بالهزليّة العامية المباشرة وغير المزينة، وتمتع بدرجة عالية من إثارة العواطف طريقة الأميركيين في كتابة لغتهم. وتتحدث شخصياته وكأنهم أشخاص حقيقيون وهو يشبه الشعب الأميركي حيث يستخدمون لهجات محلية وإقليمية، وكلمات جديدة. وكان هناك عددٌ من الكتّاب الذين اهتموا بالفروق الإقليمية واللهجة أمثال: جورج دبليو كبل، وتوماس نيلسون باج، وجويل تشاندلر هاريس، وماري نوليس مورفي (تشارلز إيغبيرت كرادوك)، وسارة أورن جويت، وماري ويلكنز فريمان، وهنري كويلر بونر، ووليم سيدني بورتر (أوو هنري).

كما مثّل وليم دين هاولز التقاليد الواقعية من خلال رواياته مثل: صعود سيلاس لافام، وتحريره لمجلة المحيط الأطلسي الشهرية.

وواجه هنري جيمس (١٨٤٣ - ١٩١٦) العالم القديم بالعالم الجديد، والمعضلة من خلال كتابته المباشرة عن ذلك. ولقد عاش معظم حياته في إنجلترا، على الرغم من أنه وُلِد في مدينة نيويورك. وركزت العديد من رواياته على الأميركان الذين عاشوا في أوربا أو سافروا إليها. وتميزت قصص جيمس بجُمَلِهَا المُعقَّدة والمُرَكَّبة التي تحلل الفروق النفسية والعاطفية.

ومن ضمن أعماله رواياتي: ديزي ميلر التي تحكى عن ساحرة أميركية صغيرة في أوروبا، وتحول المسمار وهي تحكي لغزًا عن شبح.

مطلع القرن

في بداية القرن العشرين، قام الكتاب الأميركيون، بتوسيع النطاق الاجتماعي للرواية لتشمل الطبقتين؛ المرتفعة والمنخفضة، كما كانت ترتبط في بعض الأحيان بالمدرسة الواقعية. تفحصت واديث وارتون (١٨٦٢-١٩٣٧) مجتمع الطبقة العليا على الساحل الشرقي الذي كبرت فيه. ويعد كتاب «عصر البراءة» واحدًا من أفضل أعمالها، حيث يتحدث عن رجل اختار أن يتزوج زواجًا تقليديًا بامرأة مقبولة اجتماعيًا، بدلًا من امرأة جذّابة من خارج وسطه الاجتماعي. وفي نفس الوقت تقريبًا وصف ستيفن كرين(١٨٧١ – ١٩٠٠)، الذي اشتهر بروايته» الشارة الحمراء» للشجاعة عن الحرب الأهلية، «حياة العاهرات في مدينة نيويورك» من خلال ماجي: فتاة الشوارع.

وفي رواية « الأخت كاري»، وصف تيودور درايزر(١٨٧١ – ١٩٤٥)، حياة فتاة ريفية تنتقل إلى شيكاغو لتصبح عاهرة. كما ناقشا هاملين جارلاند وفرانك نوريس عن مشاكل المزارعين الأميركيين وغيرها من القضايا الاجتماعية من منظور طبيعي.

وناقشت الكثير من الكتابات السياسية قضايا اجتماعية وقوة الشركات بشكلٍ مباشر. عبّر البعض مثل إدوارد بيلامي في «نظرة إلى الخلف» عن أطر سياسية واجتماعية أخرى. وتبنّى ابتون سينكلير، الذي اشتهر برواية «الغابة» مذهب الاشتراكية. وتشمل تلك الحقبة كتّابًا سياسيين آخرين مثل ادوين ماركام، ووليام فون مودي. بالإضافة إلى بعض النقّاد الصحفيين الذين حاربوا الفساد أمثال: إيدا إم تاربل ولينكولن ستيفنز. ووصفت السيرة الذاتية لهنري بروكس آدامز تعليم هنري آدمز نظام التعليم والحياة العصرية وصفًا لاذعًا.

وسرعان ما انضم التجديد في الأسلوب والشكل إلى الحرية الجديدة في المواضيع. وفي عام ١٩٠٩ نشرت غيرترود شتاين(١٨٧٤ – ١٩٤٦)، وهي مغتربة تعيش في باريس روايةً مبتكرةً بعنوان «حياة ثلاثة أشخاص». وقد تأثّرت فيها بالتكعيبية، والجاز، وغيرها من الحركات المعاصرة في الفن والموسيقى. وأطلق شتاين على مجموعة من وُجهاء الأدب الأميركي الذين عاشوا في باريس خلال العشرينيات والثلاثينيات اسم «الجيل الضائع».

قضى الشاعر عزرا باوند (١٨٨٥ – ١٩٧٢) معظم حياته في أوروبا، ولكنه ولد في ولاية ايداهو. تميّز عمله بالتعقيد، وأحيانًا بالغموض، بالإضافة إلى أن يشير إلى العديد من الأشكال الفنية، ومجموعة واسعة من الأدب الغربي والشرقي. ولقد أثّر في الكثير من الشعراء مثل تي إس إليوت(١٨٨٨ – ١٩٦٥)، والذي كان مغتربًا هناك. وكتب إليوت قصائد احتياطية تخاطب العقل تتميز بكثرة الرموز. جسّد إليوت في قصيدة « الأرض الفضاء» المجتمعَ بعد الحرب العالمية الأولى من خلال صور مجزّأة. تشابهت أشعار إليوت مع باوند في أنها تمتلئ بالإيحاءات، واحتوت قصيدة «الأرض الفضاء» على هوامش كتبها الشاعر. وفي عام ١٩٤٨، حصل إليوت على جائزة نوبل في الأدب.

عبر الكتاب الأميركيون أيضًا عن خيبة أمل الشعب بعد الحرب. واحتوت قصص وروايات إف سكوت فيتزجيرالد(١٨٩٦ – ١٩٤٠)، على الحالة النفسية المضطربة المتعطّشة والمتحدية لفترة العشرينيات. وعبر موضوع فيتزجيرالد في عمله غاتسبي العظيم عن النزعة الجديدة تجاه أحلام الشباب الذهبية التي ذابت في الفشل وخيبة الأمل. كما شرح فيتزجيرالد انهيار بعض الأفكار الأميركية الرئيسية التي وردت في إعلان الاستقلال مثل: الحرية، والوحدة الاجتماعية، والحكومة الرشيدة، والسلام، وهي السمات التي تأثّرت بضغوط الحياة المعاصرة في أوائل القرن العشرين. كما أنتقد سنكلير لويس وشيروود أندرسون في رواياتهم

صور الحياة الأميركية. وكتب جون دوس باسوس عن الحرب، بالإضافة إلى ثلاثية الولايات المتحدة الأميركية التي امتدت لتشمل الإحباط.

سكوت فيتزجيرالد، تم تصويره من قبل كارل فان فيشتن عام ١٩٣٧، شاهد إرنست همنغواي(١٨٩٩ – ١٩٦١) أعمال العنف والموت بعينيه حيث كان يعمل كسائق سيارة إسعاف أثناء الحرب العالمية الأولى، وأقنعته تلك المذابح بأن معظم اللغة التجريدية فارغ ومضلل. وبالتالي قام بحذف العبارات غير الضرورية من كتاباته، بالإضافة إلى تبسيط بنية الجملة، وتركيز الأشياء الملموسة والأحداث. وتمسك بسلوك أخلاقي يدعو للحفاظ على العفو أثناء التعرّض للضغوط، ويتمتع أبطاله بالقوة والهدوء، وكانو دائمًا يتعاملون مع المرأة بطريقة غير لائقة. ويعتبر كل من الشمس تشرق أيضًا ووداعًا للأسلحة من أفضل رواياته، كما فاز بجائزة نوبل في الأدب.

كما حصل أيضًا ويليام فولكنر(١٨٩٧ – ١٩٦٢) على جائزة نوبل خمس سنوات قبل همنغواي. وتمكّن فولكنر من وضع مجموعة ضخمة من البشر في بلدة يوكناباتاوفا، وهي من وحي خيال المؤلف، وتقع في منطقة الميسيسيبي.ورسم شخصياته كما تخيلهم دون تعديل، وذلك ليعبر عن حالاتهم الداخلية، وهي تقنية تسمى «تيار الوعي»، وفي الواقع تم تصميم هذه المقاطع ببراعة، حيث تخفي البنية الفوضوية العديدة طبقات متعددة من المعاني. كما خلط بين تسلسل الوقت ليظهر كيف يتحمّل الماضي— وخاصة عهد تملك الرقيق في أعماق الجنوب— أحداث الحاضر. ومن بين أعماله العظيمة: الصوت والغضب، وأبسالوم، أبسالوم!، وإلى الوراء يا موسى، والذي لا يُقهر.

أدب عصر الإحباط:

تميز أدب عصر الإحباط بأنه كان ينقد المجتمع مباشرة وبصراحة. ولد جون شتاينبيك(١٩٠٢ – ١٩٦٨) بساليناس، كاليفورنيا، حيث كتب الكثير من القصص. وكان أسلوبه بسيطًا مُثيرًا للمشاعر، مما جعل العديد من القرّاء يعجبون بكتاباته، ولكن ذلك لم يكن الحال بالنسبة للقراء. وكان شتاينبيك كثيرًا ما يكتب عن الفقراء والطبقة العاملة، ونضالها من أجل الوصول إلى حياة كريمة وشريفة، فهو يُعد من أكثر الكتّاب وعيًا بالمجتمع في هذه الفترة. وتُعَدُّ «أعناب الغضب» واحدة من أهم إبداعاته؛ لأنها رواية قوية موجهة للمجتمع، تحكي عن رحلة عائلة جود، وهي أسرة فقيرة من أوكلاهوما، إلى كاليفورنيا بحثًا عن حياة أفضل.ومن أشهر رواياته أيضًا تورتيلا فلات، ومن الفئران والرجال، وكانري رو، وشرق عدن. وقد فاز بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٢. وهناك كتّاب آخرون يُعتبرون جزءًا من مدرسة البروليتاريا مثل نتانيال ويست، وأوليف تيلفورد دارجون، وتوم كرومر، وروبرت كانتويل، وادوارد اندرسون.

ما بعد الحرب العالمية الثانية:

وهي الفترة التي تبدأ بنهاية الحرب العالمية الثانية، وحتى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، ولقد شهدت نشر بعض الأعمال الأكثر شعبية في تاريخ أميركا.وهيمن على تلك الحقبة آخر الكتّاب المجددين الواقعيين، بالإضافة إلى الرومانسيين الوجوديين، والذين تسببوا في ردود الفعل المباشرة لتورّط أميركا في الحرب العالمية الثانية.

أصبح صول بيلو أكثر الروائيين تأثيرًا في أميركا، خلال العقود التالية للحرب العالمية الأولى، على الرغم من أنه وُلد بكندا وكبُر في ولاية شيكاغو. رسم بيلو صورًا حيّة للمدينة

الأميركية والشخصيات المميزة التي تعيش فيها في أعماله مثل: مغامرات أوجي مارش، وهندرسون ملك الأمطار. حصل بيلو على جائزة نوبل للأدب في عام ١٩٧٦.

تم وضع الجنون الأميركي في مقدمة التعبيرات الأدبية للأمة، وذلك بداية من رواياتى القصص التسعة، وصائد الجاودار لجي دي سالينجر، ورواية الإناء ذو الشكل الجرسي لسيلفيا بلاث. وصاغ العديد من الكتّاب المهاجرين مثل فلاديمير نابوكوف هذا الموضوع في كتابه «لوليتا»، وفي نفس الوقت ابتعد الوجوديون عن الجيل السابق الضائع.

وظهر الفن الروائي والشعري «لجيل ترقيم الميزان» الذي وُلِد على يد مجموعة من مثقفي نيويورك حول جامعة كولومبيا. ولقد اشتهروا رسميًّا في وقت لاحق في سان فرانسيسكو. يشير مصطلح «ترقيم الميزان» للإيقاع المضاد للجاز التقليدي، ليصبح إيقاعًا متمرِّدًا بشأن الضغط المتحفظ لمجتمع ما بعد الحرب، كما يبحث عن أشكال جديدة من التجربة الروحية من خلال المخدرات، والكحوليات، والفلسفة، والدين، وخاصة البوذية. وحدد ألين جينسبيرج إيقاع تلك الحركة قصيدته «العواء»، والذي يبدأ بـ: «رأيت أن أفضل العقول من أبناء جيلي قد دمرها الجنون... » وفي الوقت نفسه احتفل صديقه الحميم جاك كيرو (١٩٢٢ – ١٩٦٩) بترقيم الميزان، والعفوية، وأسلوب الحياة المتشرّد من خلال روايته الأكثر شعبية «على الطريق».

وبخصوص روايات الحرب، فقد كان هناك انفجار أدبي في أميركا خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. ومن أشهر أعمال تلك الفترة العارية والميت(١٩٤٨) لنورمان ميلر، وكاتش ٢٢(١٩٦١) لجوزيف هيلر، والمجزرة الخامسة(١٩٦٩) لكورت فونجت. وصورت رواية ماكبيرد التي كتبتها باربرا جارسون سخافة الحرب.

وفي المقابل، عرض جون أبديك ما يمكن أن يُسمى بالجانب الأكثر مثالية في الحياة الأميركية، حيث تناوله بأسلوب يتّسم بالهدوء والتخريب في آن واحد. وحقق كتابه «اركض يا أرنب» عام ١٩٦٠ نجاحًا كبيرًا، لما تميز به من تفصيل لحياة الطبقة الأميركية المتوسطة. كما تعتبر أول رواية تستخدم صيغة الفعل المضارع.

وتعتبر رواية «الرجل الخفي» لرالف اليسون أحد أقوى الأعمال في العامين التاليين للحرب. وهي تحكي قصة رجل أسود يعيش في المناطق الشمالية، كما تكشف الرواية عن التوتّر العنصري المختبئ، والذي لا يزال هو السائد في البلاد، حيث أصبح حالة وجودية تستدعي الدراسة.

تناول فلانري أوكونور(ولد في ٢٥ مارس ١٩٢٥ في جورجيا وتوفي في٣ أغسطس ١٩٦٤) موضوع الجنوب في الأدب الأميركي والذي كان عزيزًا على مارك توين، وغيره من كبار المؤرخين الأميركين (الدم الحكيم (١٩٥٢) غيره العنف(١٩٦٠)،«كل الأشياء الصاعدة تلتقي عند نقطة واحدة»، وهي من أشهر القصص القصيرة التي كتبها. ولقد نشرت بعد وفاته عام ١٩٦٥.

أصبح «لهنري ميلر» مكانًا فريدًا في الأدب الأميركي في الثلاثينيات عندما منعت رواياته التي تشبه السيرة الذاتية من التداول في الولايات المتحدة. ولقد كتبها ونشرها في باريس. على الرغم من أعماله الرئيسية مثل مدار السرطان (رواية)، والربيع الأسود لم تحقق مبيعات كبيرة في أميركا ولم تنشر حتى عام ١٩٦٢، أثرت مواضيعها وأسلوبها المبتكر على الأجيال التالية له من الكتاب الأميركيين.

بدأ الأدب الأميركي بدايةً متواضعةً، ثم مالبث أن أخذ مركزه بين الآداب الأولى في العالم. ومن خصائصه المميزة أنه يُمجّد المُثُل العُليا، وصفات الاعتماد على النفس

والاستقلالية، واحترام الإنسان، والتأكيد على الديمقراطية، وحب الطبيعة والخروج عن التقاليد الأدبية من أجل كل إبداع جديد. وتُعد الفكاهة عامَّة، والفكاهة الساخرة أيضًا من الخصائص المميزة لهذا الأدب. وقد شهد تطور الأدب الأميركي عدة مراحل هي:

أدب المستعمرات (١٦٠٨-١٧٦٥م)

كَتَبَ المستعمرون الأميركيون قصصًا لتسجيل أنشطتهم، وحياة المستعمرات في الأراضي الجديدة. وكذلك مواعظ لتعليم دروس أخلاقية، وكتبوا أيضًا الأشعار الدينية، وأيضًا كتيّبات لمناقشة بعض النقاط السياسية.

عصر الازدهار الأول (١٧٦٥-١٨٥٠م)

انحسرت خلال القرن الثامن عشر الميلادي الاهتمامات الدينية أمام الاهتمامات السياسية، فبعد أن أصدرت بريطانيا قانون الطابع عام ١٧٦٥م انتشرت الاحتجاجات في أرجاء المستعمرات وكتبت ووزّعت الكثير من الكتيبات الثورية ومنها أعمال ذات قيمة أدبية مهمة.

ظهرت أشكال أدبية جديدة بعد الثورة الأميركية؛ فقد أشعل الاستقلال السياسي رغبة قوية للاستقلال في فن الأدب ولأول مرة انفصل أدباء أميركا عن ماضيهم الأوربي.

أصبح بنيامين فرانكلين المتحدث باسم المصالح الأميركية في القرن الثامن عشر، وقد نقد السياسات البريطانية في كُتيب بعنوان القوانين السياسة والكتيبات التي يمكن أن تحول امبراطورية عظيمة إلى امبراطورية صغيرة (١٧٧٣م)، كما قدّم كتابات أخرى من الهجاء السياسي ولكنه لم يتقيّد بالكتابة في السياسة فقط، وأنتج أدبًا بالغ التأثير وهو يؤدّي دوره كناشر ناجح وعالمٍ باحث وفيلسوف مفكّر. أكثر أعماله انتشارًا كتاب «تقويم ريتشارد المسكين» (١٧٣٣ - ١٧٥٨م) بفضل ما يزخر به من أمثال وحكم مازحة ذكية. وأهم عمل

أدبي هو السيرة الذاتية التي لم يتمها والتي أصبحت مثالًا لكثير من القصص عن الارتفاع من الحضيض إلى الثراء.

نيويورك مجتمع المهاجرين الهولنديين، أصبحت نيويورك في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين مركزًا مُشعًّا للإنتاج الأدبي. وانتقل أول أهم روائي أميركي تشارلز بروكدن براون من فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا إلى نيويورك، وكان أول أميركي يجعل الأدب مهنته الرئيسية، وكتب أعماله على نسق قصص الرعب البريطانية المعروفة باسم الروايات واشتهر بقصة ويلاند(١٧٩٨) وقصة أدجار هنتلي (١٧٩٩).

- **ساهم ثلاثة أدباء آخرون مرتبطون بنيويورك مساهمةً كبيرةً في تطوّر الأدب الأميركي**
- واشنطن إيرفنج
- جيمس فينيمور كوبر
- وليام كلن برايانت

وكانت أعمالهم أول أدب أميركي يُعترف به في أوربا. أسعد إيرفنج قرّاءه بالهجاء الذي كتبه بعنوان حكاية المهاجر الأميركي عن نيويورك (١٨٠٩م) وكان إيرفنج يعيد قص الحكايات الشعبية في أعماله التي لاقت قبولًا كبيرًا من القراء ونشرت في كتاب اسكتشات جيوفري كرايون، جنت (١٨١٩و١٨٢٠م) كما أعجب إيرفنج بالشرق الإسلامي وكتب عن الثقافة العربية في الأندلس. وهو من مؤسسي القصة القصيرة.

كان «كوبر» يكتب قصص مغامرات عن الأماكن الجديدة المتاخمة لنيويورك في عصره، وأشهر أعماله قصص تخزين الجلود وهي سلسلة من خمس روايات. تبدو شخصيات كوبر أحيانًا غير حقيقية وكثيرًا ما يبدو أسلوبه مُبهجًا أكثر من اللازم، ولكنه اخترع أول بطل

أميركي من مكتشفي الحدود ناتي بامبو، وتُصوّر رواياته مثل: البراري (١٨٢٧م) الرجل الأميركي وهو يطوع الأراضي القفراء.

عمل «برايانت» كرئيس تحرير وصاحب ومؤلف جريدة نيويورك إيفننغ بوست على مدى خمسين عامًا. كتب في شبابه قصيدته المشهورة عن الموت(١٨١١م)، كما كتب عن الطبيعة مثل الشاعر الإنجليزي وردزورث.

تحرير العبيد والعم توم. أصبحت مشكلة العبيد خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي قضية ساخنة في الولايات المتحدة. ونشر المنادون بتحرير العبيد مقالات وروايات وكتيبات وقصائد لتحريك الرأي العام. قاد «وليم لويد جارسون» وهو صحفي من بوسطن حملته المعارضة لنظام العبيد على صفحات جريدته «رجل التحرير». اشتهرت هارييت بيتشر ستو كأكثر المنادين بتحرير العبيد تأثيرًا. فقد بيعت ملايين من النسخ من روايتها المُثيرة للحماس والعواطف «كوخ العم توم» (١٨٥١-١٨٥٢م) التي ساعدت على اشتعال الحرب الأهلية عام ١٨٦١م، وما زالت تقرأ حتى الآن.

الأدب الأميركي يبلغ مرحلة النضوج (١٨٥٠-١٩٠٠م)

ظهر جيل جديد من أدباء أميركا في حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. لم يتّجه هؤلاء الأدباء إلى إنجلترا بحثًا عن الإلهام، بل كتبوا عن وطنهم وقومهم وقاموا بالتجريب في الأشكال الأدبية، وقدموا مواضيع وأفكارًا جديدة، وخلقوا أدبًا قوميًّا حاز على الإعجاب والاحترام في مختلف أرجاء العالم. كان المتعالون مجموعةً من كتّاب نيوإنجلاند تؤكّد على أن بصيرة الإنسان بفطرته وحواسه تسمو على المعرفة التي تأتي عن طريق المنطق أو الاستنتاجات.

أصبح «رالف والدو إمرسون» المتحدث باسم أنصار الفلسفة المتعالية في مقالاته مثل الاعتماد على النفس (١٨٤١م) الذات العليا (١٨٤١م). كما كتب أيضًا عددًا من القصائد الفلسفية. أما «هنري ديفيد ثورو» صديق إمرسون فقد طبّق نظريات الفلسفة المتعالية فعاش عامين حياة بسيطة في «والدن بوند» بولاية ماساشوسيتس وسجّل تجربته في أفضل أعماله والدن، وهذا الكتاب يغوص في عمق الطبيعة ومكامن النفس البشرية ومعنى الحياة. نشر المتعالون مجلة دايل (١٨٤٠-١٨٤٤م) وتضم الجماعة التي ساهمت في هذه المجلة جورج ربلي، مارجريت فولر، وآموس برونسون ألكوت، والد لويزا ماي ألكوت مؤلفة رواية نساء صغيرات (١٨٦٨-١٨٦٩م) التي اعتمد مضمونها على حياتها الخاصة.

برهميو بوسطن:

ينتمي بعض أشهر أدباء القرن التاسع عشر الميلادي إلى الطبقة العُليا من مجتمع نيو إنجلاند وأصبحوا معروفين باسم (برهميو بوسطن)، وتأتي هذه التسمية من اسم أعلى طائفة في الديانة الهندوسية. وأبرز أدباء هذه المجموعة هم هنري ودزورث لونجفلو، وجيمس رسل لوويل، وأوليفر وندل هولمز.

كان «لونجفلو» من أكثر الشعراء تأثيرًا في عصره، وما زال الناس يحبون القصص الشعبية التي وضعها في قوالب شعرية مثل: إيفانجلين (١٨٤٧م). ويعتبر كثير من النقاد قصيدته الكوميديا الإلهية وكذلك مؤلفاته من السونيتات أفضل أعماله. اشتهر «لوويل» بالسخرية والنقد السياسي في مذكرات بيجلو (١٨٤٨م) ورؤيا السير لونفال (١٨٤٨م). كما نشر قبل الحرب الأهلية الأميركية عددًا من القصائد المناهضة لنظام الرّقّ.

وبعد ذلك كتب قصيدة غنائية في ذكرى الشهداء (١٨٦٥م) تمجيدًا لشهداء الحرب، وأظهر لوويل موهبته كناقد أدبي في حكاية النقاد (١٨٤٨م) وهي قصيدة هجاء ساخرة. كان

هولمز طبيبًا، وزعيمًا لمجموعة البرهميين في بوسطن، وقد عبّر عن تصوره للطبقة العليا في سلسلة مقالات مرحة بعنوان الحاكم المطلق لمائدة الإفطار ١٨٥٨م ومن أشعاره قصيدة هجاء ساخر عن موضوع الكلفينية.

الأدباء المستقلون:

لم ينتمِ عدد من أدباء أميركا البارزين إلى أية جماعة أو حركة، ويمكن فهم أعمالهم في إطار عبقريتهم الخاصة فقط. اشتهر «إدجار ألان بو» كشاعر وكاتب للقصة القصيرة، وناقد أدبي. كان يكتب شعرًا يسوده جو من الحزن والرعب ويتميز بالحرص التام على اتباع الوزن والإيقاع الشعري. وقد كتب قصائده مثل: الغراب الأسحم (١٨٤٥م) و آنابل لي (١٨٤٩م) انطلاقًا من نظريته أن أفضل موضوع للشعر هو مأساة وفاة سيدة جميلة. ركز «بو» في قصصه على حبكة الرواية واستخدام جَوّ الغموض والإثارة. أصبحت قصة جرائم في شارع المشرحة(١٨٤١م) وقصة الخطاب المسروق (١٨٤٥م) مثالًا يُحتذى في كتابة القصص البوليسية، كما تركت نظريات «بو» النقدية أثرًا كبيرًا على كتّاب القصة القصيرة وأشكال الأدب الأخرى.

أدّى «ناثانيل هوثورن» -مثل بو- دورًا رائدًا في تطوّر القصة القصيرة كشكل أدبي هام، وأعماله تؤكّد على الشخصيات ومغزى القصة. حاول «هوثورن» استكشاف طبيعة الشرّ في قصصه مثل قصة قناع الوزير الأسود (١٨٣٦م) وأفضل أعماله الحرف القرمزي (١٨٥٠م) وهي رواية تصوّر الآثار المأساوية للخطيئة تصويرًا دراميًا، استمد هرمان ملفيل مادة رواياته من حياة البحر التي عاشها في صباه؛ وكانت أولى رواياته تايبي (١٨٤٦م).

أما أفضل أعماله فهي موبي ديك (١٨٥١م)، حيث إنها ذات قيمة أدبية كبيرة كقصة مغامرات ودراسة رمزية لقوى الخير والشر.

اعتبر النقّاد شعر «والت ويتمان» الحر نسمةً من الهواء المنعش في الشعر الأميركي. تغنى ويتمان بمدح أميركا والديموقراطية ونشر ديوانه أوراق العشب عام (١٨٥٥م) ثم أعاد نشره عدة مرات بإضافات شعرية؛ وضمن طبعة عام (١٨٦٧م) قصيدة رمزية عن وفاة أبراهام لنكولن.

كتبت إميلي ديكنسون وسيدني لانيير شعرًا غنائيًا في قوالب غير تقليدية، وإميلي لم تُعْرَف أثناء حياتها فقد نُشِرَت معظم قصائدها بعد وفاتها، كتبت بعبقرية كبيرة عن الحب والطبيعة والموت والخلود، واتسمت قصائدها بعدم الالتزام بأوزان الشعر وقوافيه أو قواعد اللغة مما كان له أثره الكبير على شعراء القرن العشرين الميلادي أما سيدني لانيير فقد كتب أشعارًا ذات إيقاع موسيقي رخيم، وتعكس قصائده موهبته الموسيقية وحبه للجنوب. نظم في قصيدته السيمفونية (١٨٧٥م) الكلمات والإيقاع الشعري بحيث تصور الاستخدامات المتتابعة للآلات الموسيقية وكتب قصائد عاطفية عن الطبيعة مثل: مستنقعات جلين (١٨٧٨م) تخصص بعض الأدباء في كتابة حكايات طويلة مُفعمة بالفكاهة لها طابع المبالغة عن أبطال وأحداث. وعُرِفَ هؤلاء الأدباء بكتّاب الأدب الكوميدي، وقد أرست أعمالهم أساسًا للحركة الواقعية التي سيطرت على الأدب الأميركي خلال القرن العشرين.

يعتبر مارك توين أحد أشهر أدباء أميركا جمع في كتاباته بين روح الفكاهة والدعابة، واللون أو الصبغة المحلية النابضة بالحياة، وعبقريته الخاصة لإبداع بعض أكثر القصص المحببة على مدار السنين. أهم أعمال مارك توين هي مغامرات توم سوير (١٨٧٦م) و مغامرات هَكْلبري فِن (١٨٨٤م)، وتقع أحداث هاتين الروايتين على نهر المسيسيبي. إن هَكْلبري فِنْ أكثر جدية من الرواية الأخرى وهي تتناول بالنقد الزيف وعدم الإنسانية التي تنطوي عليها القيم والعادات التي سادت المجتمع الأميركي آنذاك.

السذج خارج الوطن

شرع الأميركيون في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي -على ما يبدو- في إعادة اكتشاف أوربا والشرق الإسلامي. واتجه السيّاح الأميركيون إلى تلك البقاع في رحلات كبيرة، وقد تناولهم «مارك توين» بالسخرية في روايته السذج خارج الوطن (١٨٦٩م). قام السيّاح في رواية «مارك توين» بمغامرات فرحة مبهجة، تركتهم دون انطباع بالعادات والأخلاق الأوربية. اشتهر بعض الكتاب الآخرين بكتيبات للأميركيين السياح المسافرين خارج الوطن.طور «هنري جيمس» فكرة عالمية المضمون في روايته صورة سيدة١٨٨٠م والسفراء (١٩٠٣م). أبطال هاتين الروايتين أمريكيون يعيشون في أوربا. كان «جيمس» يختبر الثقافة الأميركية والشخصية الأميركية بدراسته لرد فعل شخصيات رواياته للأجواء الجديدة المُحيطة بهم. وُلد جيمس بالولايات المتحدة ولكنه عاش معظم حياته في أوربا وقد كان لنظرياته عن الرواية والقصة أكبر الأثر على الروائيين الأوروبيين والأميركيين.

من عام ١٩٠٠ حتى ١٩٥٠م

تأثر الأدب الأميركي بثلاثة تطورات في الفترة ما بين ١٩٠٠ و ١٩٤١م حين دخلت الأمة الحرب العالمية الثانية:

- وصلت الثورة الصناعية إلى قمتها في الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. بدأ كتاب القرن العشرين ينظرون نظرة واقعية إلى المشاكل الاجتماعية الملحة التي نتجت عن الثورة الصناعية.
- كانت الحرب العالمية الأولى والانهيار الاقتصادي في الثلاثينيات من القرن العشرين سببًا في نقد الكثير من الأدباء للحياة الأميركي.

- فتحت أبحاث ودراسات سيجموند فرويد في النمسا في التحليل النفسي مجالات جديدة في مكامن النفس البشرية يمكن للأدباء محاولة اكتشافها.

أدباء المدرستين الواقعية والطبيعية

مهّد ستيفن كرين وفرانك نوريس وهارولد فريدريك وثيودور درايزر الطريقَ لمؤلفات فعّالة وغزيرة من أدب المدرستين الواقعية والطبيعية. درس كرين ردود فعل الحرب على جُندِي شارك في الحرب الأهلية الأميركي في روايته وسام الشجاعة الأحمر (١٨٩٥م). وركّز نوريس على صراعات أصحاب مزارع القمح في كاليفورنيا في روايته الأخطبوط (١٩٠١م)، وصوّر فريدريك عام ١٨٩٦م الصراعات الدينية لشاب من رجال الكنيسة، أمّا درايزر فقد صدم الكثير من القرّاء بصراحته الشديدة في رواية الأخت كاري (١٩٠٠م)، وتتناول روايته الشهيرة مأساة أميركية (١٩٢٥م) قضية جريمة حقيقية. قدّم كثيرٌ من الأدباء قصصًا كثيرًا ما اتسمت بالقوة والقسوة، وما زال القرّاء يرتجفون من مغامرات الكلب بك بطل رواية جاك لندن نداء البرية (١٩٠٣م). وصوّر جيمس تي فاريل في كتاباته حياةَ الطبقة العاملة في جنوب شيكاغو بولاية إلينوي. كما رسم نلسون ألجرين الصراعات اليومية لطوائف الأقليات من الطبقة العاملة في شيكاغو في روايته المهمة «الرجل ذو الذراع الذهبية» (١٩٤٩م).

تخصص «جون أوهارا» في الوصف الواقعي لحياة الطبقة المتوسطة العليا في رواياته مثل موعد في سامارا.

أدباء النقد الاجتماعي

استخدم بعض الكتاب المنهج الواقعي أو منهج المدرسة الطبيعية في الأدب لتعرية الفساد في المجتمع بهدف الوصول إلى الإصلاح، هاجمت جماعة من الصحافيين والروائيين مثل: لنكولن ستيفنس، إيدا تاربل، وأبتون سنكلير انعدام الشرف في السياسة والتجارة

وقطاع الأعمال الأميركي في أوائل القرن العشرين الميلادي. وقد ساعدت رواية سنكلير الدغل (١٩٠٦م) في صدور القوانين الفيدرالية الخاصة للغذاء النقي في الولايات المتحدة حيث تصف الظروف غير الصحية التي كانت سائدة في صناعة تعبئة اللحوم في شيكاغو. تعرضت جوانب كثيرة في الحياة الأميركية للنقد الأدبي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م. شن هـ .ل منكن هجومًا عنيفًا على ضيق أفق الذوق الأميركي والثقافة الأميركية في سلسلة مقالاته المسماة اتجاهات منحازة (١٩١٩ - ١٩٢٧م). ونقد شيروود أندرسون الحياة من وجهة نظر سيكولوجية في مدينة صغيرة في مجموعة قصصه واينز برج، أوهايو (١٩١٩م). أما سنكلير لويس فقد هاجم في روايته الشارع الرئيسي ١٩٢٠م صفات الزيف والنفاق والعناء التي اتسمت بها حياة سكان مدينة صغيرة في الغرب الأوسط في أميركا. وكان لويس أول أميركي يحصل على جائزة نوبل عام١٩٦٣٠م.

ازداد النقد الاجتماعي خلال فترة الكساد العظيم، في أربعينيات القرن العشرين. درس «توماس وولف» الأخلاقيات والقيم الأميركية في رواياته الشعرية الأربع التي تبدأ برواية انظري إلى البيتُ ياملاكي (١٩٢٩م) وهي جميعها مستوحاة من حياته الشخصية. تناول «جون داس باسوس» الطبقات الاجتماعية في الولايات المتحدة بالنقد في ثلاثيته الولايات المتحدة (١٩٣٠-١٩٣٦م). وتعتبر رواية «جون شتاينبك» عناقيد الغضب (١٩٣٩م) من أقوى روايات الاحتجاج الاجتماعي في الأدب الأميركي، فهو يصف معاناة مهاجرين من فلاحي أوكلاهوما إلى كاليفورنيا خلال فترة الكساد الاقتصادي والبطالة.

نهضة هارلم

بدأ أدب الزنوج في الازدهار خلال عشرينيات القرن العشرين في هارلم، وهي منطقة في مدينة نيويورك جمعت عددًا من الأدباء الزنوج الذين بدأوا لأول مرة في دراسة واكتشاف

ثقافة الزنوج الأميركية، وقد برز في هذا المجال عدد من الأدباء مثل جين تومر، وكاونتي كولن، وكلود مكاي ولانجستون هيوز الذي يُعتَبر أكثر كتاب مجموعة هارلم شهرة. وقد كتب الشعر والقصة القصيرة، واسكتشات تتَّسم بالفكاهة اللاذعة عن حياة الزنوج. الجيل الضائع. عرفت الأديبة «جيرترود شتاين» الحركة الأدبية الجديدة حين قالت لإرنست همنجواي: إنكم جميعًا جيل ضائع، وكانت شتاين تعني العديد من أدباء أميركا من الشباب القلق الذي تجمّع في باريس بعد الحرب العالمية الأولى.

كتب «همنجواي» عن هذا الجيل الضائع في روايته الأولى «وتشرق الشمس من جديد» (١٩٢٦م) حيث يجول أميركيون بلا جذور في أحياء فرنسا وأسبانيا في محاولة يائسة للبحث عن التسلية وعقيدة يؤمنون بها، وروايته التالية «وداعًا للسلاح» (١٩٢٩م) وهي قصة حب مأساوية تقع أحداثها في إيطاليا أثناء الحرب العالمية الأولى. وبفضل هاتين الروايتين اكتسب همنجواي مكانته كأحد أشهر أدباء القرن العشرين، وأصبح أسلوبه البسيط السلس نموذجًا يَحتذي به الكثيرُ من الأدباء الشبان. اكتسب همنجواي معجبين جُددًا بفضل أعماله الأخيرة «لمن تقرع الأجراس» (١٩٤٠م) «العجوز والبحر» (١٩٥٢م).

كان «سكوت فيتزجيرالد» أحد أهم أعضاء الجيل الضائع وترجع شهرته إلى رواية هذا الجانب من الجنة (١٩٢٠م) التي صوّر فيها جيل الفتيات والشبان المتمرّدين في عصر موسيقى الجاز بعد الحرب العالمية الأولى. ويعتبر النقاد روايته «جاتسبي العظيم» (١٩٢٥م) أفضل أعماله وهي تحكي عن رجل ذي مبادئ يتحطم تدريجيًا من جراء تأثّره بالأغنياء الذين يعيشون حوله. يمكن اعتبار وليم فوكنر أشهر روائي في هذه الحقبة. تجري أحداث معظم قصصه في جنوب الولايات المتحدة الذي سمّاه (يوكنباتاوفا). استخدم فوكنر في روايته

الصوت والغضب (١٩٢٩م) تقنية تيار الوعي وكان يصف بالتفصيل تدفق الأفكار في عقول شخصياته. يبدو أن قصص فوكنر غير المألوفة، وأسلوبه المعقد لفتت نظر القراء إليها

أصحاب اتجاه الإقليمية في الأدب:

استخدم ممثلو اتجاه الإقليمية في الأدب أماكن جغرافية معينة كخلفية لأعمالهم، ولجأ كثير منهم إلى الأسلوب الواقعي أو أسلوب المدرسة الطبيعية لابتكار صور حقيقية للحياة ومن أشهر هؤلاء روبرت بن وارن ومارجوري كينان رولنجز وويلا كاثر وأول رولفاج وبيرل بك ومارجريت ميتشل التي تُرجمت روايتها «ذهب مع الريح» (١٩٣٦م) إلى لغات متعددة، ووليم سارويان.

مولد جديد للشعر:

مر الشعر الأميركي بفترة انحسار على مدى عشرين عامًا بعد وفاة والت ويتمان عام ١٨٩٢م. غير أن هاريت مونرو مهدت عام ١٩١٢م الطريق إلى إحياء نشيط للشعر حين أسست في شيكاغو مجلة الشعر وكانت أول مجلة مخصصة تمامًا للشعر تحوّلت بسرعة إلى ملتقى كبير لشعراء أميركا في القرن العشرين الميلادي.

كتب أدوين آرلنجتون روبنسون، وروبرت فروست قصائد مهمة قبل عام ١٩١٢م، ولكنهما عُرِفا للجمهور بفضل ما أثارته مجلة الشعر من اهتمام الناس بهذا الفن الرفيع. وكتب روبنسون عدة قصائد سردية طويلة يقوم مضمونها على الأساطير، وبرع أدوين في تصوير الشخصيات مثل قصيدته مينفر تشيفي (١٩١٠م)، أما فروست فقد أصبح أحب الشعراء الأميركيين وكانت قصائده تتميز بالبساطة وسهولة الأسلوب في الوقت الذي تتناول فيه مكامن النفس البشرية بعمق وتعتبر بعض قصائد فروست من الكلاسيكيات الحديثة.

التجارب في فن الشعر:

قام عدد من شعراء مجلة الشعر بتجارب في شكل الشعر تجاوزت بقدر كبير محاولات فروست وروبنسون. كان هؤلاء الشعراء يرغبون في التحلل من التقاليد وإبداع شعر حديث يتفق وعصرهم. ومن بين هؤلاء المجددين في الشعر عزرا باوند وإيمي لوويل، وهما من دعائم جماعة الشعراء التصويريين في الشعر التي تؤكد على استخدام الحوار اليومي بين الناس وأوزان وإيقاعات جديدة للشعر، واستخدام صور واضحة، حادة الملامح. تركت قصائد باوند أثرًا واضحًا على الشعراء الشبان الأميركيين والبريطانيين. كما حققت لوويل أهداف المدرسة التصويرية في قصائد مرهفة مثل زهور الزنبق (١٩٢٥م).

حاول عديد من الشعراء الآخرين القيام بتجارب في كل من الشكل والمضمون. ربما كان تي.إس. إليوت أهم هؤلاء الشعراء، فقد أرست قصائده مثل أغنية حب ألفريد بروفراك (١٩١٧م) والأرض اليباب ١٩٢٢ تقاليد حديثة للشعر الرمزي الصعب على الفهم كما كتب إليوت أعمالًا مهمة في النقد الأدبي.

وقد أثّرت نظرياته في تحليل الشعر على جماعة من كتّاب أميركا يعرفون باسم النقاد الجدد وكانت هذه الجماعة تركز على تحليل أسلوب الأديب ولغته والتقنية التي يستخدمها في الكتابة، ولم تهتم بدراسة حياة الأديب الشخصية. حصل إليوت على الجنسية الإنجليزية عام ١٩٢٧م، ويعتبره الكثير من النقاد شاعرًا إنجليزيًا أكثر من كونه شاعرًا أميركيًا. ومن شعراء أميركا الذين تأثّروا بأسلوب إليوت هارت كرين، وماريان مور، ووالاس ستيفنز، وألن تيت. أمّا الشاعر إي. إي. كمنغز فقد سلك تجربته في الشعر بطريقة مختلفة بعض الشيء حيث استخدم النقط والفواصل بطريقة غير عادية، وتخلى عن استخدام الحروف الكبيرة في بداية السرد كما هو متعارف عليه في اللغة الإنجليزية.

ازدهار المسرحية الأميركية:

قام «يوجين أونيل» بثورة في المسرح بفضل المواضيع الواقعية التي تناولها والتقنية الشجاعة التي استخدمها في مسرحياته. وقد اكتسب شهرة قومية وعالمية عام (١٩٢٠م) بمسرحيته وراء الأفق وهي مسرحية واقعية جدًا. أما أعماله التالية فتشمل تراجيديا الرمز مثل القرد الكثيف الشعر (١٩٢٢م) ومسرحيات تتسم بالتحليل النفسي العميق مثل الحداد يليق بألكترا (١٩٣١م) وتقع أحداثها إبان الحرب الأهلية الأميركي. أما تراجيديا أونيل رحلة النهار الطويل إلى الليل فيرجع مضمونها إلى حياته العائلية. يرجع الفضل في ازدهار المسرح الأميركي خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين إلى أونيل الذي لعب دور الرائد في هذا المجال. ومن أهم مسرحيات تلك الفترة آلة الجمع ١٩٢٣ ومنظر من الشارع (١٩٢٩م) لإلمر رايس، والجهاز الشتوي (١٩٣٥م) لماكسويل أندرسون.

أمّا روبرت شيروود فقد أثرى مسرحيات تلك الحقبة بمسرحيته الأب لنكولن في إلينوي (١٩٣٨م) وغيرها من المسرحيات التاريخية المهمة.

قدم جورج اس. كوفمان، وموس هارت، ومارك كونلي الكوميديا الساخره التي تزخر بالدعابة الذكية، أما وجهة نظر كليفورد أوديتس عن المشاكل الاجتماعية فكانت أكثر جدّية كما اتضح في مسرحيّته في انتظار ليفتي (١٩٣٥م). صدمت ليليان هيلمان الجمهور بواقعيتها المطلقة في مسرحية ساعة الأطفال (١٩٣٤م)، وتقبّل الجمهور مسرحيتها مراقبو نهر الراين (١٩٤١) باستحسان كبير. كما أثّر ثورنتون وايلدر على كتّاب المسرح بعده لحذفه المناظر وديكور المسرح في مسرحيته بلدتنا ١٩٣٨م.

سجلت كوميديا «هوارد ليندسي»، ورسل كروز الحياة مع الأب رقمًا قياسيًا لعرضها على مسرح برودواي حوالي ثماني سنوات من نوفمبر ١٩٣٩م حتى يونيو ١٩٤٧م. وهذه

المسرحية مأخوذة عن قصص قصيرة من تأليف كلارنس داي. كما كتب ليندسي وكروز مسرحيات هجاء سياسي أيضًا.

كانت بدايات الكثير من كتّاب المسرح عبر حركة المسرح الصغير التي نمت وتطورت في أوائل القرن العشرين وشجّعت الكتابة للمسرح والتمثيل كتّاب القصة القصيرة وكتّاب أدب الفكاهة . اكتسبت القصة القصيرة أهمية خاصة خلال القرن العشرين وقد اهتم بكتابة القصة القصيرة كثير من كُتّاب الرواية مثل همنجواي، وفوكنر، كان أو. هنري وهو الاسم الأدبي المستعار لوليم سيدني بورتر هو أكثر الأدباء صلة بالقصّة القصيرة في تلك الحقبة، وكان يستخدم نهايات مفاجئة بنجاح كبير لدرجة أن هذه الطريقة أصبحت معروفة باسمه.

وقد استمتع ملايين القراء بقصص أو. هنري مثل الغرفة المفروشة (١٩٠٤م) و هدية ماجي (١٩٠٥م).

كتبت «كاثرين آن بورتر» قصصًا منظمة بعناية فائقة تتميز بأحاسيس مرهفة. تتناول معظم قصصها شابات وفتيات في سن المراهقة وقد نشرت مجموعات أشهر قصصها بعنوان انتعاش يهوذا (١٩٣٠م) وحصان شاحب، فارس شاحب (١٩٣٩م). كتبت بورتر رواية واحدة فقط هي سفينة الحمقى ١٩٦٢م.

جذبت القصص والمقالات والقصائد الفكاهية جمهورًا عريضًا. أثار رنغ لاردنر ودامون رنيون ضحك القرَّاء باستخدامهم اللغة العامية واللهجات في قصصهم واسكتشاتهم. كتب روبرت بنشلي، وألكسندر وولكت، و إي. بي. وايت حكايات ومقالات هزلية، كما أفزعت دوروثي باركر بعض القراء بقصائدها التي اتسمت بالسخرية والذكاء والفكاهة.

من أشهر كتّاب أدب الفكاهة جيمس ثيربر وأوجدن ناش، وكثيرًا ما كان ثيربر يقوم برسم صغير ضاحك ينشر مع قصصه، أمّا ناش فكان يسلي القراء بكلمات مصحفة، وتورية غريبة وإيقاع غير متوقع في شعره.

من عام (١٩٥٠م) وما بعده:

وضعت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) حاجزًا كبيرًا بين القديم والحديث في المجتمع الأميركي وفي أدب الأمة الأميركية، فبعد الحرب ونتيجة للانفجار السكاني ظهرت مدن مزدحمة جدًا، وضواحٍ كبيرة وطرق مزدحمة وطرق سريعة، وشعر الكثير من الناس أن هذه الظروف المزدحمة تسبّبت في وجود تماثل في الأوضاع وكآبة في الحياة الأميركية. كما تطلب الازدياد في السكان على مر السنين تقديم منتجات صناعية أكثر، مما أدى إلى استهلاكٍ أكبر للمصادر الطبيعية وارتفاع نسبة تلوث البيئة. وفي الخارج شاركت الولايات المتحدة، في حروب باهظة التكلفة في كوريا وفيتنام، أمّا في الداخل فكانت تقارير الأنباء تذيع أحداث جرائم القتل، والتوترات العنصرية وأحداث الشغب وارتفاع نسبة الجريمة وجه كثير من أدباء أميركا النقد بغضب لما اعتبروه عدم عدالة اجتماعية في الولايات المتحدة، وكتب آخرون عن شعورهم باليأس، وتساءلوا عن إمكانية استمرار الإنسانية رغم الدمار والعنف اللذين يبدوان كجزء طبيعي من سمات العصر، واعتقد بعض الأدباء أن هناك حاجة لطرق جديدة للتعبير الأدبي لتناول الحياة الحديثة بصورة مناسبة. وهؤلاء الكتّاب انضموا إلى حركات حديثة في أدب الرواية والمسرحية والشعر.

روايات الحرب العالمية الثانية

كانت باكورة الروايات التي جذبت انتباه القرّاء بعد الحرب العالمية الثانية روايات عن الحرب نفسها. كتب إروين شُو رواية الأسود الصغيرة عن ثلاثة جنود يتقابلون في ساحة المعركة. وكتب نورمان ميلر روايته العُراة والموتى (١٩٤٨م).

وهي تصوير واقعي للجنود الأميركيين المحاربين في المحيط الهادئ؛ كما تناول الكاتب هرمان يوك الصراع بين الضباط على إحدى سفن أسطول الولايات المتحدة. وقدم جيمس جونز في روايته «من هنا إلى الخلود» (١٩٥١م) حياة جيش الولايات المتحدة في هاواي قبل هجوم اليابان على بيرل هاربر.

إقليمية ما بعد الحرب

اعتمد بعض الكتاب على خلفيتهم الإقليمية في رواياتهم. استخدم رايت موريس ذكرياته عن نبراسكا في بعض رواياته مثل أغنية السهول (١٩٨٠م) وتقع أحداث معظم قصص جون شيفر في نيوإنجلاند مسقط رأسه، كما تصوّر خلفية ثلاثية جون أبدايك إقليمية بنسلفانيا. أما «لاري مكمرتري» فقد وصف في رواياته مرحلة مراهقته في مدينة صغيرة في تكساس.

استخدم ج. د. سالينجر مدينة نيويورك كخلفية في كتاباته، وقد كتب أشهر رواية في الخمسينيات «حصاد الهشيم» (١٩٥١م) عن مشاكل شاب صغير نشأ في مدينة نيويورك من أدباء الجنوب. تناولت كثير من الروايات الأميركية بعد الحرب العالمية الثانية المشرّدين في الأحياء الفقيرة، وكتب الكثيرون بتعاطف عن الشخصيات الغريبة والشاذّة.

ظهرت هذه العناصر خاصة في أعمال أدباء الجنوب الذين اتبعوا تقاليد وليم فوكنر، فعلى سبيل المثال نجد في كتابات مكالرز كارسون حكايات حزينة مرعبة عن شخصيات

غريبـة في رواياتهـا مثـل انعكاسـات عـلى عـين ذهبيـة (١٩٤١م)، و سـاعة بـدون عقـارب (١٩٦١م)، شكلت الحياة في مدينة صغيرة في الجنوب خلفية عدة روايات ليُودورا ولِتي مثل زفاف الدلتا (١٩٤٦م)، وابنة المتفائل (١٩٧٢م). وبدأ ترومان كابوت نـشاطه الأدبي بروايـة متميّزة تقوم على أرضية جنوبية بعنوان أصوات أخرى، غرف أخرى (١٩٤٨م). كما وصفت فلانري أوكونور المشاعر الدينية للفلاحين في الجنوب في روايتها الدم العاقل ١٩٥٢م، كتـب هاربر لي رواية عن العنصرية في مدينـة صـغيرة في ألابامـا، أمـا رينولـدز بـرايس فتقـع خلفيـة رواياته في كارولينا الشمالية.

أصـبح الأدبـاء الزنـوج -الروائيـون والمسرحيون والـشعراء- عنـصرًا حيويًّـا في الأدب الأميركي خلال الخمسينيات من القرن العشرين، كتب عن تجاربهم في الحياة الأميركي.

اختار الكثير من النقاد رواية رالف أليسون الرجل الخفي (١٩٥٢م) كأحسن رواية عن حياة الزنوج في الولايات المتحدة في حقبة مابعد الحرب استخدم جيمس بولـدوين وهـو مـن الأدباء الزنوج البارزين في الثلاثينيات كخلفية لروايته التي تحكي سيرته الذاتية ومزج الخيال والحقيقـة لتقـديم الحيـاة الأميركيـة للزنـوج في روايتـه رحلـة بالطـائرة إلى كنـدا (١٩٧٥م)، وقدمت الأديبة توني موريسون، الحائزة على جائزة نوبل للأدب لعام ١٩٩٣م، حياة الزنـوج الأميركيين من منظور نـسائي يمـزج الحقيقـة والفـن الـشعبي للزنـوج في رواياتهـا مثـل أغنيـة سليمان (١٩٧٧م) أما أليس ووكر فقد تناولت العلاقات بين النساء والرجـال الزنـوج وبـين بعـضهن بعـضًا في روايتهـا اللـون الأرجـواني، ١٩٨٢ قـدم بعـض الكتـاب الزنـوج في أميركـا أشكالًا أخرى غـير الروايـة كـالتراجم الذاتيـة أمثـال إلدريـدج كليفـر، مـالكوم إكـس، كلـود براون، جيمس بولدوين، مايا أنجيلو، وأليكس هيلي، كاتـب الجـذور (١٩٧٦م) الـذي تتبـع فيها حياة عائلته من أفريقيا حتى الولايات المتحدة على مدى قرنين من الزمان.

في مجال الدراما اكتسبت كتابات الأدباء الزنوج أمثال إد بولينز، لون إلدر، وأوجست ويلسون قبولًا واسعًا لدى القرّاء بعد الحرب العالمية الثانية، وكذلك أميري بركة مؤلف مسرحية سفينة العبيد (١٩٦٩م) التي تتناول نقل العبيد السود، وطرق شعراء أميركا الزنوج مجالًا واسعًا من الموضوعات أمثال نيكي جيوفاني التي اشتهرت في السبعينيات بديوانها بيتي (١٩٧٢م) الذي تصف فيه مشاعرها لكونها زنجية.

روايات غير قصصية يستخدم كاتب الرواية غير القصصية تقنية القصة بأسلوب وثائقي للكتابة عن أحداث وأناس حقيقيين، ربما كان ترومان كابوت أول من استخدم هذا التعبير، وقدم أشهر مثل على هذا النموذج في روايته مع سبق الإصرار ١٩٦٦م التي تتناول جريمة حدثت عام ١٩٥٩م لعائلة في كنساس، قدم وليم ستايرون في رواية اعترافات نات ترنر (١٩٦٧م) وصفًا لثورة العبيد في فرجينيا عام ١٨٣١م. أما جون هرسي فوصف مقتل عدة زنوج أثناء أعمال الشغب في دترويت بولاية ميتشجان، كما قدّم نورمان ميلر في روايته أغنية الجلاد (١٩٧٩م) دراسة عن حياة قاتل وإعدامه.

أدب المـــرأة

وصفت «ماري مكارثي» المهن والحياة الشخصية لعدة نساء شابات في روايتها الجماعة (١٩٦٣م)، أما «سوزان سونتاج» فكتبت الرواية والمقال، أمّا أشهر أديبات أميركا في الستينيات فهي «جويس كارول أوتس» التي كتبت العديد من الروايات والقصص القصيرة وتناولت إحدى رواياتها هم ١٩٦٩م الحياة العنيفة لامرأة وابنها وابنتها.

ركّزت «آن تايلر» على طبيعة الحياة العائلية من خلال وصف لشخصيات غريبة الأطوار في رواياتها مثل دروس في التنفس ١٩٨٧م كما اشتهرت مجموعات «جين آن» فيليبس القصصية التي تتضمن قصتها القصيرة التذاكر السوداء ١٩٧٩م.

الفكاهة السوداء:

شهدت الرواية الأميركية خلال الستينيات تطورًا جديدًا، فقد مزجت الكوميديا والموضوع الجاد وأدخل الأدباء عناصر فكاهة وبهجة في رواياتهم وقصصهم التي تعالج موضوعات عنيفة أو مؤلمة تدعو للاكتئاب.

ساعد «فلاديمير نابوكوف» في تشكيل أسلوب الفكاهة السوداء. ففي رواياته مثل النار الخافتة ١٩٦٢م ابتكر مزيجًا من الكوميديا والخيال والهجاء. ومن أدباء هذا الاتجاه أيضًا «جوزيف هلر» الذي صوّر الطيارين والعبث في المؤسسات العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانيةلعل من أشهر كتَّاب الفكاهة السوداء كيرت فونيجت الابن الذي صوّر الجنون في المجتمع في كتاباته التي تشمل مهد القط ١٩٦٣م حيث مزج الفكاهة والمأساة.

استخدم «جون بارث» الرمز الساخر لوصف عناصر الرعب في الحياة الحديثة، وقدّم كن كِسي مستشفى أمراض عقلية كرمز للحياة الحديثة في رواية طائر فوق عش الوقواق، وكتب دونالد بارثلمي، وجيرزي كوسينسكي حكايات الجن لوصف جنون المجتمع الحديث من خلالها. كما أحرز بول ثيروكس شهرته لتسجيله الدقيق لحماقات الإنسان ونقده البارع لها في رواياته مثل ساحل الناموس ١٩٨٢م.

كتّاب المسرحية الجُدد

برز بعض كتاب المسرحية المهمين في فترة مابعد الحرب. تناول تنيسي وليمز العقل الإنساني في مسرحياته السيكولوجية الجريئة مثل هواية الحيوانات الزجاجية (١٩٤٥م) وعربة اسمها اللذة (١٩٤٧م) وهما من كلاسيكيات المسرح الحديث. كتب وليم إنج مسرحيات واقعية عاطفية عن حياة الطبقة المتوسطة في الغرب الأوسط في أميركا مثل الظلام

عند أعلى السلّم (١٩٥٧م)، أما آرثر ميلر فقد مزج الرمزية والواقعية في المسرحية الاجتماعية. وأكثر مسرحياته شهرة موت بائع متجول (١٩٤٩م)

يعتبر مسرح العبث أقوى حركة في المسرح الحديث. حيث يقدم هذا المسرح أعمالًا غير واقعية تؤكد على العبث واللامعقول وغياب معنى الحياة الحديثة. كانت باكورة أعمال إدوارد ألبي، بوصفه كاتبًا من كتاب مسرح العبث، مسرحيتين تقع كل واحدة في فصل واحد، ساندبوكس (١٩٦٠م) والحلم الأميركي (١٩٦١م) ولكن ترجع شهرة ألبي حقيقة إلى مسرحيته من يخاف من فرجينيا وولف (١٩٦٢م) وهي دراسة واقعية قاسية للزواج استخدم العديد من كتّاب المسرحية الأميركيين تقنية مسرحية واقعية بالرغم من أنهم ليسوا بالضرورة من كتاب مسرح العبث، ومن هؤلاء الكتاب آرثر كوبيت، جين كلود فان إيتاليي، وديفيد ريب الذي تُصوِّر أعماله آثار حرب فيتنام في الحياة الأميركية، أمّا سام شيبرد فقد مزج الواقع بعناصر الخيال في نقده الساخر للمجتمع الأميركي في الطفل المدفون ١٩٧٨م هاجم ديفيد ماميت مجال الأعمال الأميركي في مسرحيته الجاموس الأميركي (١٩٧٥م)كذلك برز عدد من كاتبات المسرح الأميركيات في أواخر سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين مثل بيث هنلي، ومارشا نورمان، ووندي وازيرشتاين.

كتب الأديب المسرحي «نيل سايمون» أكثر المسرحيات رواجًا في تاريخ المسرح الأميركي، فله عدة مسرحيات كوميدية عن صراع الناس للبقاء في هذا العالم المعاصر المحموم.

الشعر الذاتي وشعر الاعتراف:

اندثرت مع بداية الحرب العالمية الثانية نهضة الشعر، التي ازدهرت في أوائل القرن العشرين. بدأت ثورة جديدة بعد الحرب ضد القصائد التي تفتقر إلى الخصائص الذاتية والعاطفية وبدأ عدد من الشعراء ينتهج منهج الذاتية المُطلقة في أسلوبه.

سجَّل شاعران مبرزان من فترة ما بعد الحرب تجاربهما إبّان الحرب. كتب «راندل جاريل» قصائد تتسم بالمرارة عن الحرب في ديوانه «صديق صغير» ١٩٤٥م أمّا كارل جاي شابيرو فأفضل قصائده قصائد حب أحد الجنود لفتاته في الولايات المتحدة كتب ثيودور روثكي ذكرياته عن المستنبت الزجاجي للنباتات ومحلات زهور عائلته في ديوانه الاستيقاظ ١٩٥٣م واستمد ريتشارد ويلبر مادته من الطبيعة والحياة خارج المدينة في ديوانه أشياء هذا العالم ١٩٥٦م.

تعكس باكورة قصائد روبرت لوويل أشهر شعراء أميركا بعد الحرب خلفية نيوإنجلاند، وقد كتب قصائده بأسلوب قاس بعض الشيء وبطريقة تقليدية متبعًا نهج (ت.س.إليوت) ولكنه أعلن فيما بعد أنه غير راضٍ عن باكورة شعره وتحول إلى شعر أكثر ذاتية فكتب ديوانه دراسات في الحياة ١٩٥٩م وهو مجموعة من قصائد الشعر الذاتية

كانت سيلفيا بلاث أكثر شعراء الاعتراف شهرة، وقد زادت شهرتها بعد انتحارها عام ١٩٦٣.

ولها عدة دواوين تحوي قصائد جادة منها ديوان آريل ١٩٦٥م، أما آن سكستون وهي من شعراء الاعتراف أيضًا فقد انتحرت هي الأخرى. يبدو أن فكرة الموت كانت تسيطر عليها كما ظهر في كثير من قصائدها مثل ديوان: مذكرات الموت١٩٧٤م. كتب عدد من شعراء الاعتراف قصائد طويلة وذاتية إلى درجة كبيرة، وأشهرها ٧٧ أغنية

أحلام ١٩٦٤م، ولعبته حلمه راحته ١٩٦٨م التي كتبها جون بيريمان، وكذلك الصلاة والرجاء المتكرر ١٩٧٩م، لجون آشبري، كما أَلَّف جيمس مريل ثلاثية من الشعر القصصي وضعها في إطار من حياته الشخصية ١٩٨٢م.

حرب فيتنام:

أصبحت حرب فيتنام موضوعًا لعدة روايات في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، كتب «تيم أوبراين» رواية سريالية عام ١٩٧٦م حكى فيها عن عزم أحد الجنود الهرب من الحرب، وقدم جون م ديل فيشيو في الوادي الثالث عشر ١٩٨٢م قصة حقيقية رصينة عن الصراع والوهم وخيبة الأمل في حرب فيتنام. كما تناول بوبي آن ماسون حياة فتاة قُتِل والدها في حرب فيتنام قبل أن تولد. أما لاري هاينمان فيستكشف حياة جريح من محاربي فيتنام في قصة باكو ١٩٨٧.

مع بداية الألفية الميلادية الثالثة يرى كثير من المتعلمين الأميركيين ضرورة توسيع مفهوم الأدب الأميركي، فهم يرون أن الدراسات النقدية التي أجريت على الأدب الأميركي اهتمت بالدرجة الأولى بأعمال الأدباء البيض الذكور.

وينكب الآن النقاد والمهتمون على دراسة الأدب الزنجي وغيره من آداب الأقليات الأخرى بالإضافة إلى أعمال النساء، وهناك أيضًا اهتمام متزايد بأشكال الأدب غير التقليدية مثل الصحف والأعمال غير المنشورة.

فعلى سبيل المثال، يعزو رسام الكاريكاتير «تشاك جونز»، الذي لعب دورًا رئيسيًا في تطوير رموز ثقافية شعبية أميركي مثل «رود رانر» و«وايلي كويوتي» و «باغز باني» أصول هذه الشخصيات إلى قراءته المبكرة لكتاب مارك توين الحياة الخشنة.

«سام كليمنس»، المولود في عام ١٨٣٥ في قرية تسمى «فلوريدا» بولاية ميزوري الذي أصبح يستخدم اسم «مارك توين» في العام ١٨٦٣ قضى أيام طفولته في مدينة هانيبال بولاية ميزوري. وفي العام ١٨٤٧ حين وافت والده المنيّة وهو في الثانية عشرة من عمر وترك صفوف التعليم النظامي وأصبح متدربًا في مجال الطباعة في مكتب صحيفة محلية، ثم عمل في وقت لاحق عامل طباعة مياوما في سانت لويس، ونيويورك وفيلادلفيا وواشنطن وأماكن أخرى. وأمضى سنتين يتعلّم كل تفاصيل النهر التي تتغير باستمرار، ثم أصبح قائد سفينة بخارية، ولكن مهنته في النهر ما لبثت أن انتهت بسبب الحرب الأهلية. وبعد أن أمضى أسبوعين في وحدة الحرس التابعة لولاية ميزوري كانت متعاطفة مع قوات الكونفدراليين الجنوبيين، رحل مع شقيقه إلى نيفادا وحاول كسب ثروة من استخراج الفضة. وعلى الرغم من أنه فشل في عمله في التنقيب، فقد نجح في مهنته كصحفي. وقد ذاق طعم الشهرة لأول مرة على المستوى الوطني عندما ظهرت مجموعته القصصية المسماه «الضفدعة النطاطة المحتفى بها القادمة من مقاطعة كالافيراس» في العام ١٨٦٥. أحب أوليفيا لانغدون من مدينة الميرا، بولاية نيويورك، ونشر كتاب «الأبرياء في الخارج» في عام ١٨٦٩ الذي نال شهرة واسعة. ثم تزوجا وكوّنا أسرة وبدأ بتأليف الكتب التي اصبح يشتهر بها اليوم حين كان يقيم في قصر العائلة الذي بناه في هارتفورد، بولاية كوناتيكت. وقد اضطرته المشاكل المالية إلى إغلاق المنزل، ونقل الأسرة إلى أوروبا في مطلع التسعينيات من القرن التاسع عشر. وفي وقت لاحق من ذلك العقد انتشل نفسه من الإفلاس قبل الشروع في جولة محاضرات أخذته إلى أفريقيا وآسيا. ومع انتهاء القرن التاسع عشر، وحلول القرن العشرين، أصبح يشجب بلاده – والعديد من الدول الأوروبية الكبرى – على اتباعها مغامرات إمبريالية حول العالم، وأصبح نائبًا لرئيس الاتحاد المناهض للإمبريالية. لكن جميع الأوسمة والميداليات الشرفية

التي مُنحت له في السنوات الأخيرة من حياته - والدرجات الفخرية، والاحتفالات بعيد ميلاده – أخفقت في سد الفجوة التي تركتها في قلبه وفاة زوجته واثنتين من بناته. وقد توفي في عام ١٩١٠.

وفي العام ١٨٩٩، منحت «صحيفة التايمز اللندنية» لقب توين السفير المتجول للولايات المتحدة. إذ إنه كان قد شهد أجزاء من العالم أكثر مما شهده أي كاتب أميركي شهير آخر ممن سبقوه، وترجمت كتبه إلى أكثر من ٧٠ لغة. وقد جعل منه رسّامو الرسوم الكاريكاتيرية أيقونة معروفة في جميع أنحاء العالم بصفة «العم سام». لقد كان توين حقًا أول المواطنين العالميين الأميركيين؛ لأنه شخص كان يشعر حين يكون في العالم وكأنه في وطنه الأصلي.

وقد تساءل توين في ورقة قدّمها في العام الذي صدرت فيه روايته هكلبري فن، «ما هو القانون الأكثر صرامة في وجودنا»؟ وجوابه هو؟ النمو. إذ لا يمكن لأصغر ذرة من كياننا ومعنوياتنا العقلية أو البدنية أن تظلّ ثابتة لسنة وبعبارة أخرى، إننا نتغير – ويجب أن نتغير بشكلٍ مستمر، ونحافظ على التغير طالما حيينا».

المؤلفة في سطور

ا لاسم: د/ عطيات فتحي إبراهيم أبو العينين.

الوظيفة: مقدمة برامج بالإذاعة والتليفزيون شبكة الإذاعات الإقليمية بإذاعة القاهرة الكبرى.

محل الميلاد: محافظة بورسعيد.

الديانة: مسلمة.

الجنسية: مصرية.

للتواصل: E. mail

attaneen@hotmail.com

المؤهلات الدراسية

- ليسانس آداب قسم علم النفس جامعة القاهرة
- تمهيدي ماجستير قسم علم النفس جامعة عين شمس
- ماجستير في الآداب والفلسفة قسم علم النفس كلية الآداب جامعة عين شمس - عام ١٩٩٣ بتقدير امتياز .
- موضوع الرسالة / الاغتراب النفسي لدى الشباب في ضوء المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية

- موضوع الرسالة / الاغتراب النفسي لدى الشباب في ضوء المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية
- دكتوراه في الآداب والفلسفة قسم علم النفس بمرتبة الشرف الأولى .
- وكان موضوعها: «ديناميات الاختيار الزواجي وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية».

الاهتمامات الأخرى

- كاتبة للقصة القصيرة والرواية والأطفال.
- تكتب المقال الأدبي.
- تقوم بعمل أبحاث ودراسات أدبية ونفسية.

أعمال منشورة

- الاغتراب والشباب: دراسة نفسية لمفهوم الاغتراب نشرت بمجلة علم النفس بالهيئة العامة للكتاب .
- الزواج والتوافق النفسي: دراسة نفسية نشرت بمجلة علم النفس بالهيئة العامة للكتاب.

- المشكلات التي تعاني منها الطالبات السعوديات في كلية التربية للبنات بالباحة: دراسة استطلاعية، نشرت بمجلة علم النفس ، الهيئة العامة للكتاب،٢٠٠٩، العددان الثمانون والحادي والثمانون ، السنة الثانية والعشرون، ص١٢٠-١٤٥ .

- أطفال حكموا العالم دار فرحة ٢٠٠٣ م.

- ضرتي مجموعة قصصية دار النيل ٢٠٠٥م.

- شبابنا بين غربة واغتراب صدر عن الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٧م.

- تيجان على رؤس صغيرة، الهيئة العامة للكتاب٢٠٠٧م.

- مرارة المشمش مجموعة قصصية الهيئة العامة للكتاب، سلسلة إشراقات أدبية ٢٠٠٨م.

- بيبي قاهر الرمال روايات الهلال للأولاد والبنات ٢٠٠٨م.

- موسوعة أطفال حكموا العالم تصدر عن دار المعارف.

<u>صدر منها:</u>

- الإسكندر الأكبر -بطرس الأكبر- بيبي والقزم دنج- خمارويه والأسد زريق- الناصر محمد بن قلاوون- الحاكم عدو الملوخية- الامبراطور المغولي أكبر.

الفهرس

